الفصـــل الرابع

العلم التجريبي والدين

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول:
المذهب الوضعى وشبهه فى إنكارالدين

تمهيد:

هل يستغنى بالعلم التجريبى عن الدين؟

منذ أن ظهرت الاكتشافات العلمية، وهناك اتجاه فى الغرب يسعى جاهداً لإبعاد الدين، والإكتفاء بالعلم التجريبى، وما يكشف عنه من أسرار الطبيعة وكانت هذه الاتجاهات تأخذ أشكالاً مختلفة فى وسائلها. متحدة فى غاياتها. فالبعض يعترف بالألوهية ولكنه يطرحها جانباً، والبعض الآخر لا يعترف أصلاً بعالم الغيب وما فيه وما يعبر عنه، وكان الدافع وراء هذه الاتجاهات كلها هو الاغترار بالعلم والاستغناء به عن غيره من شتى التوجيهات و عبر البعض صراحة عن ذلك من هؤلاء (ديفيد هيوم) ١٧١١ ـ ١٨٨٦ م [١] الذى انتقد الأدلة على وجود الله وتساءل لم لا تمد المادة نفسها إلى غير نهاية فنعتبرها الله؟ ولماذا نبحث للكون عن علة مفارقة واعتبر أن كل الأعمال العقلية ترجع إلى الترابط الآلى، وتفانى فى المناداة بالعلم التجريبى إلى أقصى حد حين قال بضرورة إحراق كل كتاب لا يقوم على الرياضة والتجربة [٢] وقد نشط الاتجاه التجريبى القائم على الملاحظة والتجربة لسببين:ـ

الأول: الانحلال الذى أصاب فلسفة هيجل الميتافيزيقية

الثانى: الأثر الذى أحدثته التجارب والمشاهدات العلمية الحديثة فى الصلة بين النفس والجسم [٣]

---

(١) الفكر الإسلامى الحديث ص ٢٩٧

(٢) أسس الفلسفة ٢٤١

(٣) تاريخ الفلسفة الحديثة ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣

وقد بلغت النزعة التجريبية المُستبعدة للدين أوجَها فى المذهب الوضعى الذى يعرف بأنه المذهب " الذى لا يعتبر شيئاً حقيقياً واقعياً إلا ذلك الموضوع الوضعى الذى جاء أثراً لتجارب الحس ويمكن مع ذلك اختباره بالحس "[١]

ويُعد " أوجست كونت " هو الذى قَعّدَ القواعد وأصَّل الأصول للمذهب الوضعى بعد أن أخذ أصوله من " سان سيمون "، و"شارل فوريه "، وقد ذهب " كونت " إلى أن الشرط الأول للنجاح فى صياغة المجتمع إعادة وحدة الاعتقاد إلى العقول كما كان الحال فى العصر الوسيط لكن بواسطة العلم لا بواسطة الدين لقد أراد أن يصل إلى العلم ويستعين به وحده فى تحقيق الهدف المنشود، والعلم الذى يريد أن يصل إليه هو الذى لا يطلب الحقائق الثابتة أو المطلقة لأن ذلك فوق طاقة العلم وعلى غير طبيعته ولذلك فإن ما سماه " كونت " بالعلم الوضعى يتجنب البحث عن أسباب الأشياء وعللها، وعن جواهرها وحقائقها ويتجه إلى استنباط القوانين التى تحكم هذه العلاقات [٢]

---

(١) الفكر الإسلامى الحديث ص ٣٠٠

(٢) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة ص ٣١٦ والفكر الإسلامى والمجتمع المعاصر ص ١٦٤ / ١٦٥

obeikandl.com

المسألة الأولى: قانون الحالات الثلاث " لأوجست كونت " (١٧٩٨ ـ ١٨٥٧م)

تقوم فكرة الأطوار الثلاثة عند كونت على فكرة مؤداها أن العقل الإنسانى لا يدرك سوى الظواهر الواقعة المحسوسة وما بينها من علاقات أو قوانين وأن المثل الأعلى يتحقق فى العلوم التجريبية، ومن ثمَّ يجب العدول عن كل بحث فى العلل والغايات [١]

ويعبر " كونت " عن قانون الأحوال الثلاثة بالصيغة الآتية " بناءً على طبيعة العقل الإنسانى لابد لكل فرع من فروع معلوماتنا من المرور فى تطوره بثلاث حالات نظرية متتابعة. الحالة اللاهوتية أو الخرافية، والحالة الميتافيزيقية أو المجردة، وأخيراً الحالة العلمية أو الوضعية [٢]

وسوف نعرض لهذه الحالات الثلاث كما عرضها " كونت " لنتبين مدى علمية هذه الأطوار الثلاثة التى أراد " كونت " للأخير منها أن يكون بديلاً عن الدين والغيبيات.

أولاً: المرحلة اللاهوتية "The Ological astage"

يذكر " كونت " أن الإنسان فى هذه المرحلة يبحث فيها عن كنه الكائنات وأصلها ومصيرها محاولاً إرجاع كل طائفة من الظواهر إلى مبدأ مشترك وقد تدرج فى ذلك درجات ثلاث: كانت الدرجة الأولى " الفيتشية " Fetichisme" يضيف فيها إلى الكائنات الطبيعية حياة روحية شبيهة بحياة الإنسان، وكانت الدرجة الثانية تعدد الآلهة، وهى أكثر الدرجات الثلاثة تميزاً للحالة اللاهوتية يسلب فيها عن الكائنات الطبيعية ما كان خلع من حياة، ويضيف أفعالها إلى موجودات غير منظورة تؤلف عالماً علوياً، وكانت الدرجة الثالثة التوحيد أى جمع كثرة الآلهة فى إله واحد مفارق.

---

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة ص ٣١٧

(٢) فلسفة أوجست كونت تأليف ليفى بريل ترجمة د/ محمود قاسم و د / السيد محمد بدوى طبعة ١٩٦٢ نقلاً عن الاتجاهات العلمية المعاصرة ص ١٠

وهذه المرحلة لها خصائص تتمثل فى أن موضوعها مطلق وتفسيراتها فائقة للطبيعة ومنهجها خيالي هذا من الوجهة النظرية أما من الوجهة العملية فقد كانت المعانى اللاهوتية أساساً متيناً مشتركاً للحياة الخلقية والاجتماعية وكانت هذه المرحلة الأولى مرحلة السلطة وسلطة الكهنة وسلطة الملوك [١]

ثانياً: المرحلة الميتافيزيقية

فى هذه الحالة يحاول العقل البشرى أن يبحث عن حقيقة الأشياء وأصلها ومصيرها ولكنه يستبدل بالعلل المفارقة عللاً ذاتية يتوهمها فى باطن الأشياء وما هى إلا معان مجردة جسَّمها له الخيال فقال : العلة أو القوة الفاعلية والجوهر والنفس والحرية والغاية، وما إليها، وبلغت هذه الحالة أوجها فى مذهب وحدة الوجود الذى يجمع فى الطبيعة جميع القوى الميتافيزيقية. والفرق بين الحالة اللاهوتية، والحالة الميتافيزيقية أن المجرد يحل محل المشخص الذى كان فى المرحلة الأولى. ويحل أيضاً الاستدلال محل الخيال ، وهذه المرحلة فترة انتقال ، وأداة انحلال هى فترة نقد عقيم ولكنه ضرورى إذ يتناول الاستدلال المعانى اللاهوتية فيبين التناقض فيها وإذا كان العقل فى هذه الحالة يضع معانى أقوى موضع الإرادات المتقلبة فإنه يضيف من سلطان القوى المفارقة هذا من الوجهة النظرية أما من الوجهة العملية فيبدو الانحلال فى انتشار الشك والأنانية فيفصم الفرد الرباط الذى يربطه بالمجتمع ويثقف العقل على حساب العاطفة ويتصور الاجتماع ناشئاً من تعاقد الأفراد، وتقاوم الدولة على مبدأ سلطة الشعب ويحكمها القانونيون.

المرحلة الثالثة: الوضعية "Positivestage "

فى هذه المرحلة يفسر فيها الإنسان الأحداث باعتبارها عناصر خاضعة لقوانين عامة يمكن إدراكها بالمطالعة أو بالمشاهدة العلمية[٢] وفى الحالة الوضعية يدرك العقل امتناع الحصول على معارف مطلقة فيقصر همه على تعرف الظواهر واستكشاف قوانينها. فتحمل هنا الملاحظة محل الخيال والاستدلال، ويستعاض عن العلل

---

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة ص ٣١٧ـ ٣١٨

(٢) الإسلام يتحدى ص ٣٣

بالقوانين أى العلاقات المطردة بين الظواهر فيكون موضوع العلم الإجابة عن سؤال " كيف " لا عن سؤال " لمَّ " واعتبر " كونت " أن الذى تقدمه هذه المرحلة يُعد نهائياً. أما المسائل التى لا تقع تحت الملاحظة فهى خارجة عن دائرة العلم [١]

وفى هذه المرحلة لا تذكر " الأرواح والآلهة والقوى المطلقة " ونحن بناءً على هذا نعيش فى المرحلة الثالثة التى تسمى بالوضعية أو التجريبية العلمية (Scientifiempiricism) [٢]

هذا ملخص قانون الأطوار الثلاثة الذى ذهب إليه " أوجست كونت " واختزل جميع المعارف والعلوم فى هذا القانون خاصة المرحلة الأخيرة منه بالذات. وقد سادت هذه الوضعية وانتشرت فى أوربا. وعرف العصر بأنه عصر الوضعية وظهرت عبارات لبعض الأوربيين تؤكد سيادة هذا المذهب وتنفى ما عداه يقول أحدهم " كل معرفة حقة مرتبطة بالتجارب بحيث يمكن فحصها أو إثباتها بصورة مباشرة أو غير مباشرة "[٣]

ويذكر " هكسلى " أنه " إذا كانت الحوادث تصدر عن قوانين طبيعية فلا ينبغى أن ننسبها إلى أسباب فوق الطبيعة"[٤]

---

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة ص ٣١٨ ـ ٣١٩

(٢) الإسلام يتحدى ص ٣٣

(٣) الإسلام يتحدى ص ٣٦

(٤) نفسه ص ٣٦

المسألة الثانية: الأسباب التى أدت إلى سيادة المذهب الوضعى فى أوربا.

لقد ساد الاتجاه الوضعى أو الواقعى وعرف هذا العصر بأنه عصر الوضعية وكان من أسباب سيادته ما يلى :-

أولاً: معارضة الكنيسة التى كانت تملك نوعاً من المعرفة الدينية أو الميتافيزيقية بوجه عام، وذلك لأن الوضعية قامت على أساس تقدير الطبيعة واعتبارها المصدر الوحيد للمعرفة اليقينية لأن الطبيعة فى نظر الوضعيين هى التى تنقش الحقيقة فى عقل الإنسان وترسم معالمها، والإنسان بناءً على هذا لا يُملى عليه من خارج الطبيعة أى شيء لأن ما يأتى من الميتافيزيقا خداع للحقيقة والدين خداع لأنه وحى ذلك الموجود الذى لا يمثله ولا يحدده كائن من كائنات الطبيعة.

ثانياً: أن الفلسفات التى قامت لمناهضة الدين فى أوربا قد فشلت فى هدفها فى نظر الوضعيين ، ولم تستطع تلك الفلسفات أن تُبعد التوجيه الكنسى كلية عن توجيه الإنسان وتنظيم المجتمع بل على العكس مالت بعض هذه الفلسفات إلى تأييد الدين من جديد ومن ثمَّ رأى الوضعيون أن يعلنوا فلسفتهم حتى يبعدوا الكنيسة نهائياً عن التوجيه، ولكى يحققوا ما عجزت الفلسفات عنه من إبعاد للدين، وسلطان الكنيسة على المجتمع[١].

ثالثاً:- ارتباط الدين بالكنيسة التى وقفت حجر عثرة فى طريق العلم ومن ثمَّ كان المذهب الوضعى خاصة وجميع الاتجاهات المادية والإلحادية رد فعل خاطئ وطارئ لموقف خاص. وليست هذه الفكرة نتيجة نظرة موضوعية لكل من العلم والدين[٢].

وقد تسرب رذاذ من المذهب الوضعى إلى العالم الإسلامى وتبناه البعض ودافع عنه يقول " إسماعيل مظهر " : إن قانون الدرجات الثلاث الذى كشف عنه

---

(١) الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص ٣٤٢ - ٣٤٣

(٢) الإسلام والعلم التجريبى ص ٩٧ د فاروق الدسوقى - المكتب الإسلامى بيروت

الفيلسوف " أوجست كونت " لأكبر استكشاف وصل إليه العقل البشرى فى الطبيعة الإنسانية "[١] هذا ما يقوله " إسماعيل مظهر " عن قانون الحالات الثلاث الذى تناوله الغربيون بالنقد اللاذع بل إن " كونت " نفسه قد هدمه علميًا بابتداعه ديانة الإنسانية. يقول أستاذنا الدكتور يحيى هاشم معلقاً على اتجاه إسماعيل مظهر " لقد أفصح عن كراهية عميقة عارمة للإيمان بالغيبيات فيما أورده. وينقل عنه قوله " عسى أن يكون قريباً أن الخطوة التى خطوناها فى سبيل الخروج من ظلمات الأسلوب الغيبى إلى وضح الأسلوب اليقينى سوف تقودنا إلى ميدان يتصادم فيه الأسلوبان تصادماً يثير فى جو الفكر عجاجة ينكشف غبارها عن الأسلوب الغيبى وقد تحطمت جوانبه واندكت قوائمه "[٢]

ومن الذين تأثروا بالمذهب الوضعى الدكتور " زكى نجيب محمود ". فى كتابه " خرافة الميتافيزيقيا " الذى عدل عنوانه فيما بعد ليصبح " موقف من الميتافيزيقيا " وله كتاب آخر يقرر فيه المذهب الوضعى ويتابع فيه الفكر المادى الغربى هذا الكتاب هو " المنطق الوضعى "[٣]

وسوف ننقل بعض فقرات مما كتبه الدكتور زكى نجيب محمود. فى كتابه خرافة الميتافيزيقيا.

بداية يعرف الميتافيزيقيا بأنها " البحث فى أشياء لا تقع تحت الحس لا فعلاً ولا إمكاناً لأنها أشياء بحكم تعريفها لا يمكن أن تدرك بحاسة من الحواس "[٤] يذكر الدكتور البهى رحمه الله أن الكاتب لم يذكر فى سطر واحد فى كتابه أن المراد من البحث فى الأشياء التى لا تقع تحت الحس لا فعلاً ولا إمكاناً (الفلسفة الميتافيزيقية) دون الحقائق الدينية حتى لا يدخل الدين ورسالته والإسلام وتعاليمه فيما يبحثه

---

(١) تاريخ الفكر العربى ص ١٠٩ نقلاً عن الاتجاهات العلمية ص ١٦

(٢) تاريخ الفكر العربى ص ١١٥ لإسماعيل مظهر نقلاً عن الاتجاهات العلمية ص ١٨ . تذكر بعض المصادر أن إسماعيل مظهر تاب إلى الله ورجع عن مناصرته للإلحاد أنظر الموسوعة الميسرة ج ٢ ص ٨١٤

(٣) الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب ج ٢ ص ٨٢١

(٤) خرافة الميتافيزيقيا ص ١١

ولكنه عمم ولم يقيد . يقول الدكتور زكى نجيب محمود " العبارة الميتافيزيقية التى تخبرنا عن شئ غير محس عبارة فارغة من المعنى لسبب بسيط : وهو أنها ليست مما يجيز المنطق أن يكون كلاماً على الإطلاق. فمتى يُقبل الكلام عند المنطق؟ يُقبل الكلام إذا كان لدى السامع وسيلة لتحقيقه فإما أن يصدقه بعد التحقيق أو يكذبه أما الكلام الذى يستحيل بطبيعة تركيبه أن نتصور وسيلة لمراجعة صدقه أو كذبه فهو كلام خلو من المعنى "[١] هكذا بدون تحديد يلغى كل مالا يقع تحت الحس والمشاهدة - من دائرة الحقيقة - ونحن نتساءل ما هى الوسيلة الحسية التى يتحقق الإنسان من خلالها لوجود الملائكة أو الجن أو الحور العين ناهيك عن كلمة الله؟ إن الكاتب يعمم ولا يقيد كما فعل فلاسفة الغرب [٢] وكثرة تداول اللغة ووجودها فى القواميس يزيد الناس إيماناً بأنها يستحيل أن تكون مجرد ترقيم أو مجرد صوت بغير دلالة. لكن التحليل يبين لك أن مئات من الألفاظ المتداولة والمسجلة فى القواميس ألفاظ زائفة أو هى أشباه ألفاظ، وما أشبه الأمر هنا بظرف يتداوله الناس فى الأسواق مدة طويلة على أنه يحتوى على ورقة من ذوات الجنيه حتى يكتسب الظرف قيمة الجنيه فى المعاملات . وبعدئذ يجئ متشكك ويفض الظرف ليستوثق من مكنونه ومحتواه، وإذا هو فارغ، وكان ينبغى أن يبطل البيع به والشراء لو تنبه الناس إلى زيفه من أول الأمر "[٣]

والتساؤل هنا ما هى الكلمة أو الكلمات الزائفة التى لا معنى لها بالرغم من وجودها والتعامل بها ولو تنبه الناس إلى ما فيها من زيف لبطل البيع بها والشراء؟

أكل الكلمات الميتافيزيقية على هذا النحو، وجماهير الناس لا يعرفون " الميتافيزيقيا " فضلاً عن أن يقفوا على مصطلحاتها؟[٤]

---

(١) خرافة الميتافيزيقيا ص ٧٨

(٢) الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص ٣٠٦، ٣١١ بتصرف

(٣) خرافة الميتافيزيقيا ص ١٠٠ - ١٠٥ نقلاً عن الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعار

(٤) الفكر الإسلامى الحديث ص ٣١٠

إن الكلمات التى يقصدها هى الكلمات التى تتعلق بعالم الغيب وهى التى يشبهها بالظرف المغلق. فلما تقدم العلم التجريبى تحقق زيف هذه الكلمات. وكان ينبغى أن يكتشف هذا الأمر من فترة طويلة ، ولكن الوسائل لم تكن متاحة أما وقد أتيحت فلا معنى للتعامل مع تلك الألفاظ. ذهب إلى هذا الرأى الدكتور " زكى نجيب محمود " متابعة للفكر الغربى المادى الذى تبناه " أوجست كونت " وغيره من أتباع الوضعية المنطقية، وقد ذهب البعض إلى رجوع صاحب هذا الكلام عنه فى آخر حياته [١]

---

(١) انظر مجلة المجتمع الكويتية العدد ٨٥٥ فى ١٢ / ٦ / ١٤٠٨هـ وانظر الصحوة الإسلامية فى عيون مختلفة الدكتور نعمان السامرائى ص ٩٢ ـ الناشر دار المنارة للنشر والتوزيع جدة الطبعة الأولى ١٩٩٣م

obeikandl.com

المبحث الثانى
تقويم المذهب الوضعى

مناقشة " أوجست كونت " وأتباعه فى مدى علمية قانون الحالات الثلاثة

المسألة الأولى: عدم اتباع كونت المنهج العلمى فيما ذهب إليه

١ـ ما هو رأى " كونت " فيما يقرره العلم ـ الذى يعتبره " كونت " هو الحكم النهائى لأى أمر من الأمور ـ العلم يقول إن الجنس البشرى عمره ملايين السنين. فكيف تم لكونت من الناحية العلمية توزيع الحالات الثلاثة على هذه الملايين على اعتبار أن المرحلة الثالثة الواقعية أو العلمية بدأت فى زمنه. إنه إلزام لا يجد " كونت " ولا أتباعه جواباً عليه [١]

إن نقطة الخطأ فى المذهب الوضعى تتمثل فى أن أنصاره جعلوا منه قانوناً يستوعب التاريخ كله فى شوط واحد قطعت الإنسانية ثلثيه بالفعل ونفضت يدها أو كادت منه إلى غير رجعة ولن تعود إليه إلا أن يعود الكهل إلى طفولته وشبابه ولو أنهم جعلوا منه سلسلة دورية كلما ختمت شوطاً رجعت عوداً على بدء لكان الخطأ أقل شناعة

ولكنها أيضاً تظل دعوى غير سليمة لا لأنها مجردة عن البرهان فحسب بل لأنها تُحرف التاريخ وتصادم العيان [٢]

ثم إن " أوجست كونت " عندما وضع نظريته الوضعية لم ينظر فى العلوم الدينية والعلوم التجريبية نظرة موضوعية وإلا كان لزاماً عليه أن ينظر فى علوم سائر الإديان وخاصة الإسلام. قبل أن يعمم الحكم الذى استخلصه من النظر فى دين الكنيسة على كل الأديان. وهذا التعميم مخالف للموضوعية هذا من جهة، ومن جهة

---

(١) انظر الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة ص ١١

(٢) الدين للدكتور درازص ٨٤ / ٨٥ وانظر الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب ج ٢ ص ٨٢٢

أخرى فإنه لم يستخلص نظريته من مجرد النظر فى الدين والعلم ولكنه أتى وقد اعتقد بفكرة تنازعهما وتعارضهما ثم حاول أن يأتى بالشواهد الدالة على هذا الحكم الموضوعى السابق، والمذهب الوضعى فى تحليله النهائى جاء نتيجة رد فعل العقل الأوربى لموقف الكنيسة من العلم. ومن ثمَّ فهو إفراز خاص لحالة رد الفعل وهذا يمنع كونها نتيجة بحث موضوعى [١]

٢ـ يختلف الطريق الذى سلكه العقل الإنسانى عن ذلك الذى حدده " كونت " ففى كثير من الأمور كان الفهم الوضعى للأمور يسير مع الفهم الدينى أو الميتافيزيقى ففى مجال فهم الحقائق الرياضية والفلكية مثلاً أمور كانت تسير مع الفهم قديماً، ولا تزال بعض المجتمعات تفسر دينياً على الرغم من أننا نجتاز حالياً المرحلة الوضعية فى نظر " كونت " [٢] وكما يقول الدكتور دراز (إن هذه النزعات الثلاث متعاصرة متجاورة فى نفس كل فرد ففى الوقت الذى نفسر فيه الحوادث العادية بأسبابها المباشرة خارجية أو داخلية. فنقول مات فلان بكذا أو هلك فلان بكذا لا يزال كل واحد منا يفسر الحوادث الشاذة الخارقة بالقضاء والقدر أو بسبب غير حسى معلوم. بل نذهب أبعد من هذا حين نقول إن الفطرة الموضوعية تقع فى بداية الطريق لا فى نهايته. وأن ما ظنه " كونت " يمثل مرحلة النضج العقلى . يمثل مرحلة الطفولة النفسية لا مرحلة النضج والكمال ذلك بأن مبعثها الحاجة العاجلة، وضرورة الحياة اليومية وبأنها وظيفة الحس لا العقل وبأنها من معدن القابلية والانفعال لا من معدن الفاعلية والإنشاء أما نظرة التعليل فإنها تنبثق فى النفس على إثر ذلك متى استيقظت ملكة التجريد والتعميم فى التصورات والأحكام أما المرحلة الدينية فواضح أنها لا تولد فى النفس إلا حينما يتسع أفقها فتجاوز الكون بظاهره وباطنه إلى ما وراءه فهى أوسع النظريات مجالاً وأبعدها مطلباً وهكذا ينقلب الترتيب الذى تخيله الفيلسوف رأساً على عقب والحاجات النفسية المعقولة. حاجة الحس فحاجة العقل فحاجة الروح أو إن شئت قلت حاجة الحس فحاجة العقل القانع فحاجة العقل المتسامى المتمثلة فى الدين [٣] وهذا النقد الذى يوجه إلى النظرية فى بنيانها الفكرى يأتى على

---

(١) الإسلام والعلم التجريبى ص ٩٩ ـ ١٠٠ د/ فاروق الدسوقى

(٢) الموسوعة الميسرة ج ٢ ص ٨٢٢

(٣) انظر الدين للدكتور دراز ص ٨٥ ـ ٨٧ بتصرف وانظر الإسلام والعلم التجريبى ص ٩٧ ـ ٩٨

أصولها من القواعد. وهى تفسيرات لا مجال لإنكارها أو المزايدة عليها. إن " كونت " بهره العلم التجريبى فحصر فيه كل الحقيقة وجاءت فلسفته الواقعية هى الفلسفة المادية بالرغم من تحفظه إذ أنها تؤدى إلى النتيجة ذاتها، وهى إنكار الميتافيزيقيا أى الغيبيات [١]

ديانة الإنسانية وهدمها للمذهب الوضعى

أين العلم الوضعى عند مدَّعيه " كونت " فيما اخترعه من ديانة الإنسانية [٢] بعد أن رفض الأديان جميعها. صنع ديناً جعل المعبود فيه هو الإنسان بدلاً من الله.

(إمرأة) تدعى " كلوتيلد دى فو " .

والكتاب المقدس لدى الإنسانية إنجيل الوضعية. عبارة عن الرسائل المتبادلة بينه وبينها.

والمعبد هو شقتها التى كانت تعيش فيها.

وقدس الأقداس الكرسى الذى كانت تجلس عليه وبعض متعلقاتها الشخصية بل أكثر من هذا صاغ صلاة لها. يقف هو وأتباعه أمام تمثال أم البشرية لمناجاتها. وصارت تلك المرأة هى شيطانه الذى يوحى إليه أثناء تحريره كتابه الكبير (مذهب فى السياسة الواقعية) أو كتاب (فى علم الاجتماع) يصنع ديانة الإنسانية (١٨٥١-١٨٥٤) فى أربعة مجلدات واختصره فى كتاب (التعليم الدينى الواقعى) أو عرض موجز للديانة الكلية ١٨٥٢م [٣] وقد أدى صنيعه هذا إلى اعتزال تلاميذه له وعدوه خارجاً عن الفلسفة الواقعية الخاصة [٤] فأى شيء أكبر شهادة على أن نهاية العلم البشرى ليست هى إطفاء الغريزة الدينية. بل زيادة إشعالها من أن مؤسس المذهب الوضعى وكبار أتباعه كما يقول الدكتور دراز " قد انتهو إلى الاعتراف صراحة أو ضمنا بهذه الحقيقة بناءً على تجربتهم فى أنفسهم. فهذا " كونت " نفسه الذى كان يتنبأ بأن فناء الديانات سيكون هو النهاية لتقدم العلوم فعاد آخر أمره إلى الدين، وكلل

---

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة ص ٣٢٩

(٢) ديانة الإنسانية هى (عبادة الإنسانية باعتبارها الموجود الأعظم التى تشارك فيه الموجودات الماضية والمستقبلة المساهمة فى تقدم بنى الإنسان وسعادتهم) تاريخ الفلسفة الحديثة ص ٣٢٨

(٣) نفسه ص ٣١٧ وانظر المبحث الخاص بالمذهب الوضعى فى كتاب أستاذنا الدكتور يحيى هاشم فى مواجهة الإلحاد المعاصر. نشر مجمع البحوث الإسلامية

(٤) تاريخ الفلسفة الحديثة ٣٢٧

حياته بوضع ديانة جديدة طبعها على غرار النظام الكنسى للديانة الكاثوليكية فى عقائدها وطقوسها، وأعيادها وطبقات قساوستها. رواية كاملة أعاد فصولها ولم يغير إلا أشخاصها "[١] ولكنه استبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير رجع إلى وثنية بدائية ساذجة ذكرتنا بأشد الشعوب همجية حين تنحرف عن الوحى والحق، وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾[٢] وهى وإن نزلت فى أهل مكة الذين كانوا يعبدون الأوثان ويسمونها باسم الإناث إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما يقول الأصوليون. ولذا فإن الآية عامة فى أمثال " كونت " ومن بعده فى كل زمان ومكان . وتأتى الدقة فى التعبير بالإناث. كما ورد عن الحسن وقتادة إلا إناثاً: أى موتاً لا روح فيه لأن أصنامهم كانت من الجمادات سماها إناثاً لأنه يخبر عن الموت كما يخبر عن الإناث ولأن الإناث أدْوَنُ الجنسين كما أن الموات أرذل من الحيوان [٣] وقد تحققت الخستان فى المعبودة التى عبدها كونت بعد مماتها، وأقيمت لها المعابد فى باريس بل إن أكبر المعابد لأتباع الوضعية فى البرازيل. إنهم تركوا الإله الحق واتخذوا آلهة متعددة عبدوها من دون الله وأنزلوا عليها صفات الإله الحق...، وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[٤] ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[٥] إن الله يرسم صورة للنفس البشرية حين تترك الأصل الثابت الذى يحركها وتشعر به وهو الله. ثم تتعبد للهوى وتخضع له وتقيمه إلهاً قاهراً مستولياً عليها، وإن العجب من الذى اتخذ إلهه هواه بعد أن عرف الحق، ولكنه لم يرعوى لهدى الله فاستحق الإضلال من الله وتركه فى عمايته وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة. [٦]

---

(١) الدين للدكتور دراز ص ٩٤ بتصرف
(٢) سورة النساء الآية ١١٧
(٣) مختصر تفسير البغوى ج ١ ص ١٩٦
(٤) سورة الجاثية الآية ٢٣
(٥) سورة الجاثية الآية ٢٣/٢٤
(٦) فى ظلال القرآن ج ٥ ص ٣٢٣٠/ ٣٢٣١

المسألة الثانية: العلم التجريبى قائم على الغيبيات

منذ أن ظهر العلم التجريبى وكثير من الناس فى فتنة عمياء من هذا الصنم الجديد لقد سرى فى كثير من الناس يقين أو شبه يقين أنه إذا قال العلم الحديث أو اكتشف العلماء كذا. تنصب هالة عليه. (١) وكأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وإذا ذكرت لهم أن الدين يقول أو قال الله أو قال رسوله تراهم يعرضون أو على الأقل لا يكون إنصاتهم لمثل إنصاتهم لما يقره العلم خاصة إذا كان القول مرتبطاً بالأسماء الأجنبية أو المراجع الأوربية أو الأمريكية. وصدق الله إذ يقول ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾

وها نحن نستشهد بأقوال أساطين العلم التجريبى للتدليل على أن العلم التجريبى يستخدم فى بنيته نفس الأمور التى يستخدمها الدين. من حيث الاعتماد على أمور غيبية. فإذا كان المؤمن يؤمن بقوة غيبية لا تُرى هذه القوة هى الله فإن الماديين يؤمنون بقوة غيبية لا ترى وهم مضطرون إلى ذلك. فما القانون العلمى والقوة والحركة والزمن والأزلى والأبدى إلا مفاهيم لا تخضع للحس والمشاهدة ومع ذلك لا يجرؤ أحدٌ من الذين يشتغلون بالعلم التجريبى أن ينكرها وإلا لكان علمه ساذجاً واتهمه زملاؤه بالسطحية يقول " وحيد الدين خان " إن أى عالم من علماء عصرنا لا يستطيع أن يخطو خطوة دون الاعتماد على ألفاظ مثل القوة (Force) والطاقة (Energy) والطبيعة (Nature) وقانون الطبيعة (Law /o f nature) وما إلى ذلك ولكن هذا العالم لا يدرى ما القوة والطبيعة وقانونها. فهو قد صاغ كلمات تعبر عن وقائع معلومة لكى يدلل على علل غير معلومة ، ولكن هذا العالم لا يقدر على تفسير هذه الألفاظ تماماً كعالم الدين. كلاهما يؤمن بدوره بعلل غير معلومة "(٢)

---

(١) انظر الأقوال التى نقلها الأستاذ محمد فريد وجدى عن الغربيين فى هذا المعنى فى كتابه الإسلام فى عصر العلم

(٢) الإسلام يتحدى ص ٦١/ ٦٢

يقول أحدهم " إن العلوم مهتمة بتحسين نظرياتها وهى تحاول أن تكشف عن كنه الحقيقة ولكنها كلما اقتربت من هذين الهدفين زاد بعدها عنهما إن فكرتنا قائمة على أساس حواسنا القاصرة وعلى استخدام ما لدينا من الأدوات غير الدقيقة نسبياً إن العلوم لا تستطيع أن تُفَسر لنا كيف نشأت تلك الدقائق الصغيرة المتناهية كما لا تستطيع أن تَفَسر لنا بالاعتماد على فكرة المصادفة وحدها كيف تتجمع هذه الدقائق الصغيرة لكى تكون الحياة [١] ذلك واحد من المهتمين بالعلم التجريبى يقول هذا الكلام بعد " كونت " بأكثر من قرن. مع التقدم النسبى فى أدوات العلم التجريبى فى عصره مقارنة بزمن " كونت " إذا كانت العلوم لا تستطيع أن تُفسر وهذا العجز يُصرح به؟ إذن فلا مناص من الاعتراف بالله ليفسر لنا ما عجزت العلوم عنه وما ستعجز عنه مستقبلاً. إن التجربة والمشاهدة ليستا وسيلتى العلم القطعيتين والعلم لا ينحصر فى الأمور التى شوهدت بالتجربة المباشرة يقول " الكسيس كاريل " إن الكون الرياضى شبكة معقدة من القياسات والفروض لا تشتمل على شيء غير معادلة الرموز التى تحتوى على مجردات لا سبيل إلى تفسيرها " [٢] إذن فمن الذى يفسر ومن الذى يعطى اليقين إنه الدين الصحيح المتمثل فى الإسلام.

يقول أحد علماء الفيزيقيا " إننا نستطيع أن نبنى كثيراً من النظريات على عدد قليل من البدهيات أو تلك الفروض التى نسلم بها ونقبلها دون مناقشة أو جدال حول صحتها، وعند إثبات أى نظرية نجد أن برهانها يعتمد فى النهاية على مسلمات أو أمور بديهية، ومع ذلك فإن النظريات مجتمعة لا تستطيع أن تقدم دليلاً على صحة بديهية من هذه البديهيات . فالواقع أننا نقبل البديهيات قبول تسليم وإيمان "[٣] ويضيف قائلاً وليس معنى ذلك بطبيعة الحال أنه تسليم وإيمان أعمى لا يقوم على البصيرة، وكذلك الحال فيما يتعلق بوجود الله فوجوده تعالى أمر بديهى من الوجهة الفلسفية والاستدلال بالأشياء على وجود الله لا يرمى إلى إثبات البديهيات ولكنه يبدأ بها "[٤]

---

(١) انظر مقال المادية وحدها لا تكفى ـ ضمن كتاب الله يتجلى فى عصر العلم ص ٥٧

(٢) الإسلام يتحدى ص ٦٢

(٣) انظر منطق الإيمان ـ لجورج هربرت بونت أستاذ الفيزياء التطبيقية ضمن الله يتجلى فى عصر العلم ص ٨٥

(٤) نفسه

هذه أقوال الباحثين فى العلوم وفلسفتها فى القرن العشرين. يقررون أن العلم التجريبى يقوم على التسليم والإيمان.

يقول أحدهم " إننى أسلم بوجود اللاماديات لأننى بوضعى من علماء الفيزياء أشعر بالحاجة إلى وجود سبب أول غير مادى. إن فلسفتى تسمح بوجود غير المادى لأنه بحكم تعريفه لا يمكن إدراكه بالحواس الطبيعية فمن الحماقة إذن أن أنكر وجوده بسبب عجز العلوم عن الوصول إليه، وفوق ذلك فإن الفيزياء الحديثة قد علمتنى أن الطبيعة أعجز من أن تنظم نفسها أو تسيطر على نفسها "[١] هل إذا وضعنا مفهوم المذهب الوضعى الذى لا يعتبر شيئاً حقيقياً ولا واقعياً إلا إذا كان يمكن إدراكه بالحس، ويخضع للتجربة. بعد الذى قرأناه يُعد تعريف الوضعية صحيحاً أوله مكان وسط العلم؟؟

إن قانون الجاذبية لا يمكن ملاحظته قطعاً وكل ما شاهده العلماء لا يمثل فى ذاته قانون الجاذبية وإنما هى أشياء أخرى اضطروا لأجلها منطقياً أن يؤمنوا بوجود هذا القانون. ما حقيقة هذا القانون من الناحية التجريبية؟ ها هو نيوتن يتحدث فى خطاب أرسله إلى أحد أصدقائه " إنه لأمر غير مفهوم أن نجد مادة لا حياة فيها ولا إحساس وهى تؤثر على أخرى مع أنه لا توجد أية علاقة بينهما[٢].

والحق ما يقوله العلامة الدكتور دراز حين يذكر أن العلم يؤمن اليوم بأن فى الوجود قوى لا ينالها الحس المجرد، ولا المجهز بأقوى المجاهر المزود بأدق المقاييس، والموازين وبالجملة أصبح يؤمن بأن التجربة الحسية المباشرة ليست هى المعيار الوحيد للوجود وهكذا وضع بيده اللبنة الأولى فى القواعد التى تقوم عليها الأديان [٣] لقد وضعت نظريات عديدة لكى تفسر لنا كيف نشأت الحياة من عالم الجمادات فذهب بعض الباحثين إلى أن الحياة نشأت من البروتوجين أو من الفيروس أو من تجمع بعض

---

(١) المبدع الأعظم مقال كلودم ها ثواى من كتاب الله يتجلى فى عصر العلم ص ٩٦

(٢) الإسلام يتحدى ص ٦٤

(٣) انظر الدين للدكتور دراز ص ٩٠

الجزئيات البروتينية الكبيرة وقد يخيل إلى بعض الناس أن هذه النظريات قد سدت الفجوة التى تفصل بين عالم الأحياء وعالم الجمادات ولكن الواقع الذى ينبغى أن نسلم به هو أن جميع الجهود التى بذلت للحصول على المادة الحية من غير الحية قد باءت بخذلان وفشل ذريعين. إن كل خلية حية بلغت من التعقد درجة يصعب علينا فهمها وأن ملايين الملايين من الخلايا الحية الموجودة على سطح الأرض تشهد بقدرته سبحانه وتعالى شهادة تقوم على الفكر والمنطق [١] هذه النصوص كلها أليست شاهدة على مدى التعصب والهوى عند بعض الذين يتعاملون مع تلك الغيبيات فى العلم التجريبى. وهم مضطرون لذلك. وإلا ستتوقف البحوث تماماً ـ ولن يتقدم العلم قيد أنملة ـ لكن إذا عُرض عليهم الدين رفضوه لأنه يقوم على الغيبيات ومن ثمَّ أنكروا حقائق هى أوثق مما يتعاملون معه باسم العلم. إن هؤلاء وأولئك ينطبق عليهم قوله تعالى ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [٢]

قوله تعالى ﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [٣] أى ضياعاً وقيل معناه ضيع أمره وعطل أيامه فى الباطل ومخالفة الحق [٤]

---

(١) انظر مقال رسل تشارلز أرنست الخلايا الحية تؤدى رسالتها ضمن كتاب الله يتجلى فى عصر العلم ص ٨٣ وانظر الإسلام والعلم التجريبى ص ٩٨

(٢) سورة الروم الآية٧

(٣) سورة الكهف الآية ٢٨

(٤) تفسير البغوى ج ٢ ص ٥٣٥

المسألة الثالثة: إخفاق العلم التجريبى فى حل مشكلات الإنسان

لقد استعرض " كونت " تاريخ البشرية قبل عهد العلم والصناعة واستخلص منه أن عهدين قبل هذا العهد مراً بالإنسانية ولم يزل الإنسان فى طور الغاب والحيوانية، والغريزة العمياء، والأنانية رغم وجود الدين " الكنسى " كمصدر للتوجيه فى عهد، ووجود الفلسفة بعده فى عهد آخر، ورغم إسناد التوجيه فى العهد الأول إلى رجل الدين والحرب وفى العهد الثانى إلى رجل الفلسفة ورجل القانون، ولكن عصر العلم، والصناعة بعدهما وإسناد التوجيه فيهما إلى رجل العلم والصناعة كفيل فى نظره بنقل الإنسان من هذا المستوى الغريزى الحيوانى إلى المستوى الإنسانى بمعناه الصحيح[١] وفى رأيه أنه " كلما تقدم العلم وقوى الإيمان بالإنسانية كلما تقدم الإنسان وابتعد عن الحيوانية وعن سيطرة الغريزة العمياء وتحكم الأنانية "[٢] ونحن الآن بعد مضى فترة ليست بالقصيرة تقدم العلم التجريبى فيها أضعاف أضعاف ما كان عليه فى عهد " كونت " والمفترض بناءً على طرح " كونت " أن تحل جميع المشاكل المتعلقة بالإنسان فهل حدث هذا؟ وحل العلم المشاكل التى تؤرق الإنسان فى العصر الحديث؟ وهل انتهت القرصنة وشريعة الغاب؟ وهل بعد التقدم العلمى المذهل الذى تسبب فى ملئ خزانات الدول والأفراد فى الغرب الصناعى بالأموال شعر إنسان القرن العشرين بالسعادة؟ أسئلة يجيب عليها الواقع وتشهد لها التجربة، يقول " روجيه جارودى" إن الاعتقاد بقدرة العلوم الموضوعية والتقنيات المتقدمة على حل مشكلاتنا، والقول بأن مفتاح جميع القضايا الإنسانية فى يد هذه العلوم والتقنيات وهم، خرافى فتاك. وقد صب هذا الاعتقاد بكل غباء ولا مبالاة انتحارية فى قالب عصرى كاذب يقول " لا يمكننا وقف التقدم "[٣] ويقارن " جارودى " بين أكثر النماذج وحشية فى التاريخ وبين ما فعله العلم وتقنياته بقوله " لقد أمضى

---

(١) الفكر الإسلامى والمجتمع المعاصر ص ٣٩٥ الدكتور محمد البهى.

(٢) نفسه ص ٣٩٧.

(٣) ما يعد به الإسلام ص ١١٤ ـ ١١٥

تيمور لنك بعد الاستيلاء على أصفهان عدة أيام فى ذبح سبعمائة ألف من البشر. أما فى هيروشيما فلقد وصل الإنسان إلى النتيجة نفسها خلال ثوان معدودة وهذا - لعمرى - تقدم علمى لامراء فيه، وعالم اليوم يملك ما يوازى مليون قنبلة من قنبلة هيروشيما " أى ما يعادل خمسة أطنان من المتفجرات التقليدية على رأس كل مواطن على هذا الكوكب "[١] هذا هو العلم التجريبى الذى يُتخذ صنماً بعبده من دون الله. والذى يذهب " كونت " إلى قدرته على حل المشاكل - نعم إنه يحل مشكلة - ولكنه يخلق صعوبات لا حصر لها، مع غياب الموجه لهذا العلم وتلك التقنية يذكر " روجيه جارودى " هذا الذى عاش فى قلب الحضارة الغربية وسبر أغوارها أن تحسين الغرب لتقنياته فى قطع أشجار الغابات، وفى تطوير زراعة المحصول الواحد. لم يؤد إلا إلى موت خمسين مليوناً من البشر جوعاً فى العالم الثالث، وهذا الرقم سيصل إلى خمسة وثمانين مليوناً بعد كل خمس سنوات بعد أن تسببت تقنياته إلى تعرية جبال الهملايا، وفيضانات بنجلادش [٢]!نه التقدم العلمى الذى يرمى بالفائض من الحبوب فى البحار للمحافظة على السعر العالمى . إن الدول المتقدمة تصرف مائة مليار سنوياً على الخمور وثلاثمائة مليار دولار على التسليح يكفى استعمال ٣٪ فقط من مصروفات الخمور أو بتخفيض ١٪ فقط من مصروفات التسليح لكى تتوفر المياه النظيفة فى العالم [٣] فهل فعل أرباب العلم التجريبى؟ أم أن العلم التجريبى يخص جنساً دون جنس، واقع الأمر يقول ذلك إن الإنسان الأبيض ، وهو إنسان المجتمع الأمريكى والغربى مجتمع " كونت " لا يزال يباشر التفرقة العنصرية فى سياسته مع غير الإنسان الأبيض النصرانى. لأنه من الممكن أن يكون أبيضاً وتمارس ضده تلك التفرقة وما المسلمون فى أوربا . فى البوسنة والهرسك والبلقان إلا خير شاهد على ذلك. وليتأمل معنا القارئ النموذج الذى نورده للتدليل على أن إنسان العلم التجريبى قد تجرد من كل إنسانية وهو يتعامل مع غير الأبيض النصرانى.

---

(١) ما بعد به الإسلام ص ١٥.

(٢) نفسه

(٣) الحرمان والتخلف فى ديار المسلمين ص ٣٥ - ٣٦ د/ نبيل صبحى " كتاب الأمة " العدد ٧ شوال ١٤٠٤

أوردت مجلة المجتمع الكويتية فى أحد أعدادها ملخصاً لكتاب بعنوان " الإيمان والدَيْن " لمؤلفته الهولندية " سوزان جورج " تتحدث فى هذا الكتاب عما يقوم به سدنة النظام الرأسمالى نتاج العلم التجريبى. تقول " يكتب نائب رئيس البنك الدولى للتنمية الاقتصادية فى تقرير له عن تصدير الصناعات القذرة لدول العالم الثالث وضرورة قيام البنك الدولى بمساعدة تصدير هذه الصناعات والحجج القوية الدافعة لهذا العمل ما يأتى :-

١- عندما تلقى النفايات السامة فى بلد متوسط دخل الفرد فيه (٢٠٠٠٠) عشرون ألف دولار سنوياً، ومتوسط عمره الحالى أربعين سنة ويتوقع أن يعيش خمسة وعشرون عاماً أخرى فإن الاقتصاد العالمى يتوقع دخلاً يساوى (٢٠× ٢٥) = ٥٠٠٠٠٠ خمسمائة ألف دولار فى حين أن الفرد فى العالم الثالث يتوقع أن يكون دخله على أحسن الفروض (٣٠٠ دولار) فى السنة ويتوقع أن يعيش خمس عشرة سنة أخرى ولذلك فهو لا يضيف إلى الاقتصاد العالمى سوى (١٥ × ٣٠٠) = ٤٥٠٠ دولار فإلقاء النفايات فى البلد الثانى يشكل تصرفاً منطقياً.

٢- إن كثيراً من بلدان العالم الثالث تعداد سكانها منخفض، ودرجة التلوث فيها منخفضة بما يعنى أن هواءها وماءها أقل تلوثاً من دول العالم الأول الصناعى وبذلك يكون منطقياً إلقاء النفايات هناك حتى تلحق بدول العالم الأول. فى درجة تلوث بيئتها.

٣- إن الشحاذين لا خيار لهم فإذا أرادوا أن يقبلوا معوناتنا فعليهم أن يقبلوا شروطنا [١]

بهذه المعادلة البسيطة ينظر نائب رئيس البنك الدولى للتنمية للبشر من غير دول العالم المتقدم. إذا كان موت فرد من دول العالم الثالث يكلف الاقتصاد العالمى (٤٥٠٠) دولار وموت أحد أفراد العالم الصناعى الأول يكلفه (٥٠٠٠٠) خمسمائة ألف دولار. فلتكن التضحية بأفراد العالم الثالث. والتعليل بسيط ما داموا يأخذوا

---

(١) انظر مجلة المجتمع الكويتية وانظر للحقيقة فقط منذر الأسعد ففيه نماذج لا حصر لها عن الرجل الأبيض وأخلاقيات العلم التجريبى.

معوناتنا فليقبلوا شروطنا ـ التى تعنى الهلاك والدمار الحسى والمعنوى ـ وهنا نقول أين ديانة الإنسانية . وهل استطاعت أن تحد من غلواء الغربى ؟ وهل هذه السياسة العنصرية أمارة على العلم وبالتالى على تقدم الإنسان أم دليل واضح على الاعتقاد بالخرافة ، وبالتالى على التخلف كما يقول الدكتور البهى رحمه الله [١]

الحق أن حضارة الغرب قد أقامت ناطحات السحاب وأجرت مراكب الفضاء بين الكواكب ووضعت قدم الإنسان على وجه القمر، وغمرت الأسواق بألوان الرفه والترف ولكنها لم تُدخل على مشاعر الناس وأحاسيسهم إلا القلق والحيرة ولم تسكب فى قلوبهم إلا الأثرة والأنانية ولم تثر فى تفكيرهم إلا دوافع العدوان والتسلط [٢]

ينقل الأستاذ " محمد فريد وجدى " عن العلامة " كاميل فلا مريون قوله " لا يجوز لنا أن نخجل من الاعتراف بما وقعنا فيه من الانحطاط لأننا رضينا به وأصبحت عقولنا المتشبعة بالأثرة لا همَّ لها إلا أغراضها الذاتية أليس حظنا اليوم من الحياة قد استحال لجمع الثروة بلا مبالاة بوجوه جمعها والحصول على المجد بطريقة الاغتيال لا الكسب ،والجمود وعدم الاهتمام بالواجبات؟ وإن من التناقض البين المؤلم أن نرى هذا الرقى الباهر الذى حصل فى العلوم مما لا مثيل له فى التاريخ وأن هذه الفتوحات المتوالية التى تمت للإنسانية فى الطبيعة بينما رفع عقولنا إلى الدرجات العالية ، قد هبط بإنسانيتنا إلى أخس الدرجات " [٣] وبالفعل أشبع جانب فى الإنسان وأهملت جوانب أخرى كثيرة. وذلك مرده إلى النظر للأمور من جانب واحد . وهذا شأن الإنسان حين لا يكون له مرجع صحيح يتمثل فى دين حق يرجع إليه والدين الحق الذى نقصده هو الإسلام.

---

(١) انظر كتابه الفكر الإسلامى المعاصر مشكلات الحكم والتوجيه ص ٣٩٨ وما بعدها

(٢) الله ذاتاً وموضوعاً ص ٥١ للأستاذ عبد الكريم الخطيب ـ دار الفكر العربى .

(٣) الإسلام فى عصر العلم للأستاذ محمد فريد وجدى ج ١ ص ٢٨٣ بتصرف يسير وانظر أيضاً من ٢٢٨ ـ ٢٤٣

المسألة الرابعة: انتشار السحر والتنجيم فى الحضارة الغربية المعاصرة على الرغم من العلم التجريبى:-

هذه الحالة هى التى دفعت الأفراد فى المجتمعات الغربية إلى الهروب من هذا الجحيم إلى الوهم والسراب حيث قارئات الفنجان. وضاربى الودع بعد قرن ونصف من تبشير " كونت " بالمذهب الوضعى وأربعة قرون من ولادة ديكارت صاحب العبارة الشهيرة " أنا أفكر إذن فأنا موجود " كل هذه العقلانية والوضعية اللتان بَزَغَتَا من فرنسا. لم تَحُلْ دون تفشى ظاهرة لجوء الفرنسيين المتزايد لقارئى الطالع الذين يبلغ عددهم فى إحصاء رسمى الخسمين ألف ممتهن بينما عدد الكهنة الكاثوليك لا يتجاوز الستة والثلاثين ألفاً، وعلماء النفس الستة آلاف) أما مهنة التنجيم فى فرنسا التى يقدر عدد زبائنها المدمنون بمليون ونيف، وهناك فروع عدة من قراءة الفنجان إلى قراءة الكرة الزجاجية إلى قراءة ورق الكوتشينا إلى قراءة الغيب فى كوب ماء إلى السحر الإغريقى والمندل المغربى إلى الوصفات العجائبية من الأعشاب والسوائل والحجابات والأبراج. وبالرغم من أن القضاء يلاحق من حين لآخر بعض المشعوذين الذين يتعاطون هذه المهنة لابتزاز بعض العجائز فإن ظاهرة التنجيم وقراءة البخت والسحر تلفت النظر فى وطن " ديكارت " أما فى الجانب الآخر من المحيط الأطلسى فإن اللجوء المتزايد إلى الأطباء النفسانيين والعقلانيين للمعالجة فضلاً عن انتشار عبادة الشيطان إلى الهيبز وغير ذلك من البدع التى تظهر كل حين وآخر. وتتساءل صحيفة " النيويورك تايمز " عن سر انتشار هذه المظاهر فى فرنسا؟ تجيب الصحيفة عن السبب فى ذلك بأن الفرنسيين هم رواد المتناقضات. وتدلل الصحيفة بأمثلة كثيرة على هذه المتناقضات. إلا أن الإجابة التى يصعب تجاهلها. وهى من العوامل الرئيسة فى انتشار هذه الأشياء فى موطن " ديكارت " و " كونت " - هى العطش الروحى والقلق النفسانى المتمثل فى البحث عن منطلقات جديدة[١]، قد تكون بدائية أو لا تكون ولكنها تمثل نوعاً من الهروب إلى المجهول فى غياب القيم والدين من بنيان المجتمع الغربى ماذا يقول لنا " كونت " وأتباع الوضعية عن هذه

---

(١) جريدة الشرق الأوسط العدد ٦٣٨٢ الأحد ١٩٩٦/٥/١٩ م مقال بعنوان اللاعقلانية الفرنسية. باسم الجاسر

النماذج التى انتشرت ليست على مستوى العوام بل على مستوى الشخصيات السياسية والاقتصادية وأصبح لبعض رؤساء الدول عرَّافات هن من أعلام المجتمع[١] فقد كانت زوجة الرئيس الأمريكى " رونالد ريجان " تستشير عرافة أصولية كانت تدعى القدرة على تلقى الرؤى من الله، وكان الهدف من استشارة زوجة " ريجان " لها معرفة ما يجب فعله من قِبَلْ الرئيس حسب إرادة الله ومشيئته [٢] إذن أين العلم الأمريكى والتقنيات الحديثة؟ أين الجيوش الجرارة من رجال المخابرات ومستشارى الأمن القومى. وعلماء النفس والاجتماع الذين يحللون ويدرسون ويكتبون التقارير؟ ما بال " ريجان " وغيره لم يلجأ إليهم إنها الفطرة حين توخز الإنسان فيحاول أن يلجأ إلى المجهول حتى ولو كان هذا الغيب خرافات وأساطير وأضغاث أحلام؟ ماذا لو رجعوا إلى الدين الحق المتمثل فى الإسلام. الذى يشبع الروح كما يشبع الجسد. والذى يتعامل مع الإنسان كإنسان من مادة وروح يعطى كلا منهما بقَدَرْ فلا طغيان لأحدهما على الآخر ولا إفراط ولا تفريط.

لقد أدرك بعض العلماء أنهم ضللوا الناس حين زعموا لهم أنهم يستطيعون تفسير كل شيء فى الكون بقانون مفهوم. أدركوا أن دعواهم بأن العلم يستطيع أن يفسر المجاهيل كلها لم يكن سوى خرافة، وأن العصر الذهبى للعلم فى نظرهم الذى سيطر فيه الإله الجديد فجعل يثبت ما يدخل فى إدراكه، وينفى ما لا يقع فى نطاقه هذا العصر كله عصر الخرافة الكبرى [٣]

هكذا يعترف العلماء التجريبيون ـ الواحد منهم بعد الآخر ـ إنهم يسجلون الحيرة والتعجب بالرغم مما وصلوا إليه. فما بال المستضعفين من الرجال والنساء الحيارى والضالين تحت دعوى أن العلم قادر على كل شيء ما بالهم لا يرجعون...!!

يقول السير جيمس جينز عالم الفلك الذى بدأ حياته ملحداً شاكاً " لقد حاولنا أن نبحث فيما إذا كانت العلوم الحديثة عندها ما تقوله عن مسائل صعبة معينة. ربما كانت إلى الأبد بعيدة عن منال العلم التجريبى ولا نستطيع أن ندعى أننا لمحنا أكثر من بصيص ضعيف من النور، وربما كنا واهمين تماماً فى لمح هذا البصيص بالتجربة

---

(١) الإسلام والاتجاهات العلمية ص ١٢/١١

(٢) المسيحية والحرب ص ٤٥ للدكتور رفيق حبيب ـ الناشر دار يافا

(٣) فى النفس والمجتمع ص ٤٢ ـ ٤٣ محمد قطب

الموضوعية فإننا ولا شك قد اضطررنا إلى أن نجهد أعيننا إجهاداً عظيماً قبل أن نظفر برؤية شيء ما، ولذا فليس معنى كلامنا أن العلم عنده قول فصل يلقيه بل على العكس ربما كان خير ما نستطيع أن نقوله.: إن العلم قد عدل عن إلقاء الأقوال جزافاً كما فى الماضى. فإن نهر المعرفة قد تعرج فى اتجاه سيره مراراً وتكراراً، وعجز عن إخضاع قضايا الدين والفلسفة لأسلوبه الحسى وإن العلم المادى كلما تقدم فى أبحاثه التى تتزايد، وتتضاخم يوماً بعد يوم ويرى أن أكثر قضاياه وضوحاً تخفى فى طواياها جيشاً عظيماً من الأسرار وما زال هذا شأنه. كلما وصل إلى منطقة من مناطق البحث، وخيل له فيها أنه بلغ الغاية. بدت له مناطق أخرى بعيدة المدى تتصل فى حقيقته وجودها بعالم المعتقد الذى هو عالم الوجدان والإيمان "[1]

هذا الكلام صادر عن أحد أساطين العلم. وهو يقرر فى كلامه أن تقدم العلوم يزيد البشرية حاجة إلى الدين أو الأصل أن يكون كذلك. لا كما ذهب أرباب الوضعية ومن على شاكلتهم. ولعل التوغل فى العلم ثم الرجوع منه بدون ما كان يتوقع الباحث هو الذى يدفع هؤلاء إلى الدين دفعاً. لأن الدين عنده إجابات عن كثير من الأسئلة التى يعجز عنها العلم.

ولعل رجوع الباحثين إلى الدين بعد توغلهم فى العلم يعيد إلى الذاكرة ما كان من شأن سحرة فرعون مع موسى عليه السلام. ذلك أن فرعون جمع كل سحَّار عليم فلما أخرجوا ما تَعَلَّمُوهُ من السحر، وهو نهاية العلم فيه، ثم ألقى موسى عصاه فإذا هى تلقف ما يأفكون؛ أيقنوا أن الذى عند موسى ليس من السحر فى شيء لأنه لو كان منه لعلموه. ولذلك كانوا صادقين وأعلنوا الإيمان.

يقول سبحانه ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۝ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ [2]

---

(١) انظر الدين والفلسفة العلم ص ٣٧ ـ ٣٨ محمود أبو الفيض المنوفى ـ الناشر دار الكتب الحديثة .

(٢) سورة طه الآية ٧٠ ـ ٧١ وانظر شرح المواقف ص ٣٥٤

إن الجميع سيعود مرة أخرى إلى الدين لأنه الملاذ وهو اليقين والطمأنينة ولكن أى دين الذى يحقق لإنسان العصر الحديث وما بعده التوازن بين النفس والجسم بين الإنسان والكون بينه وبين المجتمع هل النصرانية بما آلت إليه؟ كلا. هل اليهودية بتعصبها الممقوت وإرهابها وتطرفها؟ كلا هل البوذية الديانة الخالية من فكرة الألوهية؟ كلا إن الذى يحقق ذلك كله هو الإسلام. وهذا ما سنتحدث عنه فى الصفحات القادمة إن شاء الله.

obeikandl.com

obeikandl.com

الخاتمة وتشتمل على

تعقيب أول

الإسلام والعلم

إن أهم ما يميز الإسلام هو جانب الشمولية فى تعاليمه ونعنى بالشمولية هنا أن الإسلام لا يحدد منطقة لله ومنطقة للإنسان بل الأمر كله لله. فأمر الحياة وعمارة الأرض للإسلام فيها توجيه يتمثل فى القصد فى الطلب وبذل أقصى الجهد لعمارة الأرض واستخراج خيراتها يقول تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ (١) ويقول لقارون فيما يحكيه القرآن ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (٢)

ومعلوم أن عمارة الأرض واستخراج خيراتها والتمتع بما أودعه الله فيها من كنوز لا يتم إلا بالعلم والمعرفة اللتان يحث عليهما الإسلام ويكفى أن نعلم أن أول سورة نزلت على قلب محمد صلى الله عليه وسلم بدأت بقول الله تعالى ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (٣)

بل إن آدم أبو البشرية ما استحق المنزلة العظيمة إلا بالعلم الذى علمه الله إياه يقول سبحانه ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ (٤)

---

(١) سورة الملك الآية ١٥
(٢) سورة القصص الآية ٧٧
(٣) سورة العلق الآية ١ـ ٥
(٤) سورة البقرة الآية ٣١

وجاءت الآيات القرآنية تحث على التدبر، والتعقل، والتعلم، والتذكر مثل قوله تعالى ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ ﴾ [١] وقوله تعالى ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [٢] وقوله تعالى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٣] وقوله ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٤] وقوله ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ [٥] وقوله ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [٦]

وجاءت الآية الكريمة التى تجمع شتى العلوم الزراعية منها والجيولوجية وعلم الأجناس البشرية، وعلم الحيوان. ثم تقرر أن العلماء أشد خشية لله لأنهم يعلمون بعض أسرار الله فى خلقه وكونه ومن ثمَّ فهم يتميزون عن غيرهم بالخشية والإجلال لله.

يقول تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [٧]

هنا لم يحدد العلم الدينى فحسب وإن كان هو أشرف العلوم وأهمها، ولكن أى علم يوصل إلى الخشية من الله. واستكشاف سننه وكونه يحث عليه الإسلام ويرغب فيه الرسول صلى الله عليه وسلم.

لأن النفس البشرية السوية تتجاوز فيها حب المعرفة، وحب العبادة. لأن الفطرة تتطلع إلى ربها لتعبده، وتتطلع إلى الكون من حولها تحب أن تتعرف عليه وأدواتها

---

(١) سورة الأنعام الآية ١١
(٢) سورة يوسف الآية ١٠٥
(٣) سورة يوسف الآية ١٠٤
(٤) سورة الروم الآية ٢١
(٥) سورة الروم الآية ٢٢
(٦) سورة الروم الآية ٢٤
(٧) سورة فاطر الآية ٢٨

الحس والعقل يقول تعالى ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[١]

غذى الإسلام أدوات المعرفة وأطلق العنان للإنسان للبحث والتنقيب لتحقيق الخلافة فى الأرض. بالعلم المؤدى إلى الخشية والإيمان والتسليم لله سبحانه وتعالى.

وقد فهم المسلمون الأوائل آيات القرآن الكريم واستوعبوا إشاراته فانطلقوا يبحثون وينقبون. مظهرين سنن الله فى كونه وآياته فى سمائه وأرضه، وقدموا للبشرية طرحاً جديداً فى العلم يتمثل فى منهج البحث العلمى. مخالفين ما كان سائداً عند اليونان من الاهتمام بالعلم النظرى التجريدى والفلسفى. إلى العلم التجريبى وكانت هذه نقلة هائلة فى منهج البحث. هى التى أهلت البحث للآفاق الواسعة التى وصل إليها الغرب فى القرون الأخيرة "[٢]

وكان الذى حفز المسلمين للبحث فى هذا الاتجاه. آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

يقول الله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾[٣]

وسوف نتحدث عن بعض العلوم التى برع فيها المسلمون :

١ـ علم الفلك

انطلق المسلمون يبدعون فى علم الفلك ليس لذات العلم كما يفعل البعض ولكن لأنه يبحث فى معرفة السنين والشهور والمواقيت ولأنه من العلوم التى توصل إلى علم التوحيد وتعظيم الرب سبحانه. يقول أحد رواد علم الفلك فى الحضارة الإسلامية وهو " البتَّانى " (٢٤٤ ـ ٣١٧ هـ) " إن من أشرف العلوم منزلة وأسناها مرتبة وأحسنها حلية، وأعلقها بالقلوب وألمعها بالنفوس وأشدها تحديداً للفكر والنظر وتزكية للفهم رياضة للعقل بعد العلم بما لا يسع الإنسان جهله من شرائع

---

(١) سورة النحل الآية ٧٨ وانظر مذاهب فكرية معاصرة ص ٥٠

(٢) واقعنا المعاصر ص ٩٠

(٣) سورة الإسراء الآية ١٢

الدين وسنته. علم صناعة النجوم لما فى ذلك من جسيم الحظ وعظيم الانتفاع بمعرفة عدد السنين والشهور والمواقيت وفصول الأزمان، وزيادة الليل والنهار ونقصانهما ومواضع النيران وكسوفهما ومسير الكواكب فى استقامتها ورجوعها وتبدل أشكالها ومراتب أخلاقها، وسائر مناسباتها إلى ما يدرك ذلك مَن أنعم النظر وأدام الفكر فيه من إثبات التوحيد ومعرفة كنه عظمة الخالق وسعة حكمته وجليل قدرته ولطيف صنعه "[١] هنا البحث من أجل مقاصد شرعية لتحديد أوائل الشهور التى ترتبط بها عبادات كشهر رمضان وأشهر الحج، ولتحديد مواقيت الصلاة. ثم لمعرفة عظمة الخالق وسعة حكمته وجليل قدرته.

ولم يكتف علماء الإسلام بالاشتغال بعلم الفلك وإنما نقدوا النظريات التى توصل إليها علم الإغريق[٢]

وكانت البحوث الفلكية التى قام بها المسلمون تعود بالفائدة العلمية عليهم إذ كان لابد للمسلمين خاصة بعد الفتوحات أن يحددوا اتجاههم عبر الصحراء، ووسط أمواج البحار، وحينما راحوا يمخرون عُباب البحار والمحيطات ويجوبون الشواطئ كان لابد لهم كى يحددوا موقع سفنهم من معارف عميقة وأدوات للقياس كالاسطرلاب الذى طوروه وعدلوه فاستطاعوا به قياس ارتفاع الشمس والقمر وبعض النجوم وسائر الكواكب وكذا الأمر فيما يخص البوصلة التى اخترعوها ونقلوها إلى الصينيين فيما بعد. أما التوجه إلى " مكة " للصلاة أياً كان المكان الذى يقيم فيه الإنسان فيقتضى علماً دقيقاً للتوجه فى "الحيز المكانى"، وأما وجوب توقيت دقيق للصلوات الخمس اليومية فيتطلب معرفة موقع الشمس ساعة شروقها وغروبها وهذا ما يلزم كذلك لمعرفة توقيت الصيام والإفطار فى رمضان وتحديد يوم العيد انطلاقاً من موقع القمر، وقد بلغت الدقة فى البحوث الفلكية التى قام بها المسلمون الغاية. فقد قام الفلكى الأمير " أولنغ بيك " حفيد تيمور لنك " بقياس السنة الشمسية وحسابها بخطأ (١٤) ثانية فقط بالقياس إلى حساباتنا الحالية [٣]

---

(١) الزيج الصابئ للبتانى ص ٦ نقلاً عن النهضة الأوربية ص ١٠٤

(٢) انظر نماذج متعددة لنقد العلماء المسلمين. لنظريات الإغريق. فى كتاب النهضة الأوربية دراسة نقدية ص ١١٠-١١٤

(٣) ما يعد به الإسلام ص ١٢٨/ ١٢٩ روجيه جارودى

٢ـ الرياضيات

كان للمسلمين السبق فى البحث فى الرياضيات خاصة علم الجبر الذى اخترعه الخوارزمى لحل مسائل الميراث المتضمنة فى علم الفرائض. وكان للعرب الفضل فى وصول الأرقام العربية إلى أوربا وكان الصفر الذى عرفه المسلمون عن طريق الهند إحداث ثورة فى الرياضيات. يذكر " روجيه جارودى " أن وصول ما يسمى بالأرقام العربية فى الغرب وبالأرقام الهندية عند العرب إلى أوربا عن طريق " الخوارزمى " ويتضمن كتاب " سيدهانت " الهندى الذى قدم إلى الخليفة المأمون والذى أحدث ثورة فى الرياضيات فى طريقة الترقيم العشرى تقوم على تسعة أرقام مضافاً إليها الصفر تسمح بالتعبير عن أى عدد من الأعداد. ثم إن " الخوارزمى " هو الذى لخص هذه الطريقة ووضع أسسها لتنقل بعد ذلك إلى أوربا من جامعة قرطبة على يد طالب راهب يُدعى " جربرت " الذى أصبح فيما بعد البابا " سلفستر الثانى " هذه الطريقة أحدثت انقلاباً فى الرياضيات وقد انتقلت إلى أوربا كذلك بطريق صقلية. كتب العالم " بوناش " المولود فى " بيزا " عام (١١٨٠م) يقول " إن الأرقام الهندية التسعة (٩ - ٨ - ٧ - ٦ - ٥ - ٤ - ٣ - ٢ - ١) مضافاً إليها علامة الصفر (٠) يمكن أن نشكل منها ونكتب ما شئنا من أعداد " ويلاحظ أن الصفر المرموز إليه بحلقة فارغة (٥) يعنى عند الهنود يعنى العدم أو الفراغ وقد ترجمه العرب بمعناه الدقيق الأمين فسموه (الصفر) الذى يعنى الخلو أو الفراغ فى العربية [١]

يقول " داربر " : " ومن عادة العرب أن يراقبوا ويمتحنوا وقد أحبوا الهندسة والعلوم الرياضية ومما تجدر الإشارة إليه أنهم لم يستندوا فيما كتبوه فى الميكانيكيات والسائلات والبصريات على مجرد النظر بل اعتمدوا على المراقبة والامتحان بما كان لديهم من آلات [٢] ونستطيع أن نقول إن الذين اخترعوا بالأمس فى ظل الإسلام لديهم القدرة على أن يتفوقوا مرة أخرى فى كنف هذا الدين إذا هم استمسكوا به، واستحضروا روح تعاليمه.

---

(١) انظر ما يعد به الإسلام ص ١٢٥ روجيه جارودى. وانظر ص ١٢٦/ ١٢٧

(٢) الإسلام والحضارة العربية ج ٣ ص ١٢٨ محمد كرد على لجنة التأليف والترجمة القاهرة سنة (١٩٦٨م)

٣ـ العلوم الطبية

الطب من العلوم التى يحتاج إليها الإنسان فى معاشه وهى تعنى فى أبسط معانيها معالجة المرضى والمتألمين، والمصابين، ومن هنا كانت مهنة الطب مهنة إنسانية بالدرجة الأولى [١] وقد نشط بعض المسلمين للبحث فى العلوم الطبية، وممارسة علاج المرضى بدقة متناهية، وهذا يدل على أن المسلمين الأوائل لم يقفوا مكتوفى الأيدى مكبلى العقول تجاه بعض العلوم التى تُعد جديدة عليهم. فقد انطلقوا يستفيدون من غيرهم من الأمم وما هى إلا فترة وجيزة حتى استوعبوا ما حولهم. ثم انطلقوا يبحثون ويجربون ويعالجون وأمكن أن يضيفوا جديداً فى الطب والعلاج، وإن ما استحدثه العرب من علاجات مختلفة للأمراض، وما استخدموه من أدوات جراحية وما كشفوا عنه من أسباب الأمراض ليدلنا دلالة واضحة على عمق وأصالة الطب فى الدولة الإسلامية، وقد نشأت مدارس للطب فى العالم الإسلامى كان فيها التدريس على منهجين. منهج نظرى فى المدارس الطبية، ومنهج عملى للتدريب والتمرين يجتمع فيه الطلاب حول رئيس الأطباء فيرون كيف يفحص المرضى، وما يصف لهم من العلاج. وإذا اجتاز الطلاب مدة الدراسة تقدموا للإمتحان ثم أقسموا اليمين " عهد أبقراط " ونالوا الشهادة ثم إذا هم بدأوا ممارسة التطبيب كانوا دائماً تحت رقابة الدولة [٢]

وقد نبغ كثير من الأطباء فى الدولة الإسلامية منهم على سبيل المثال:

١ـ أبو بكر محمد بن زكريا الرازى. الذى يعد من أعظم الأطباء المسلمين وقد ترجمت أكثر كتب الرازى إلى اللغة اللاتينية، وطبعت عدة مرات فى البندقية سنة ١٥٠٨م، وفى باريس ١٥٢٨، وأعيد طبع كتابه الجدرى، والحصبة سنة ١٧٤٥م، وظل مرجعاً فى جامعة " لوفان " حتى القرن السابع عشر الميلادى وتذكر المستشرقة الألمانية " زيغردهونكة " قبل ستمائة عام كان لكلية الطب بباريس أصغر مكتبة فى العالم لا تحتوى إلا على مؤلف واحد. هو كتاب الحاوى فى الطب " للرازى " وكان هذا الأثر العلمى الضخم يضم كل المعارف الطبية منذ أيام الإغريق حتى عام ٩٢٥م وظل المرجع الأساسى فى أوربا لمدة تزيد على الأربعمائة عام بعد ذلك التاريخ دون أن يزاحمه مزاحم أو تؤثر فيه أو فى مكانته مخطوطة من المخطوطات الهزيلة التى

---

(١) انظر فى تاريخ الطب فى الدولة الإسلامية ص ٧ د / عامر النجار ـ الناشر دار المعارف

(٢) انظر تاريخ العلوم عند العرب د / عمر فروخ ص ٢٧٦

دأب على صياغتها كهنة الأديرة قاطبة وهو العمل الجبار الذى خطته يد عربى قدير. ولقد اعترف اليونان بقيمة هذا الكنز العظيم وبفضل صاحبه عليهم وعلى الطب إجمالاً فأقاموا له نصباً فى وسط القاعة الكبيرة فى مدرسة الطب لديهم، وعلقوا صورته، وصورة عربى آخر هو " ابن سينا " فى قاعة أخرى كبيرة فى شارع سان جيرمان " حتى إذا ما تجمع فيه طلاب الطب وقعت أبصارهم عليه ورجعوا بذاكرتهم للوراء يسترجعون تاريخها "[١] وهذا من باب وشهد شاهد من أهلها.

٢- ابن النفيس ولد سنة ٦٠٧ هـ وتوفى ٦٨٧هـ وكان لهذا العالم فى الطب اكتشافات انتفعت بها أوروبا - فى مدارسها - فهو الذى اكتشف الدورة الدموية الصغرى قبل أن يعرفها الأوروبيون بثلاث مائة سنة [٢] ويُعد ابن النفيس أول عربى عرف وظائف الرئتين والأوعية الدموية وهو الذى مهد الطريق للطبيب الإنجليزى " هارفى " كى يكتشف الدورة الدموية الكبرى، وهو أول من صحح الأخطاء الشائعة فى حركة الدم وكتب أول وصف صحيح لحركة الدم فى الجسم، وهو من أبرز من عرفوا علم وظائف الأعضاء وصحح بعض آراء " جالينوس " و"ابن سينا " فى حركة الدم [٣] وهو حين يكتب يبدأ باسم الله وحمده والثناء عليه ويسأل الله التيسير بينما نجد " دارون " يكتب فى موضوع من طبيعته أن يثير الوجدان البشرى ويبعث القلب خاشعًا وهو علم الحياة، وخروج الحى من الميت، وخروج الميت من الحى. فلا يذكر اسم الله مرة واحدة بل يقول إن الطبيعة تخلق كل شيء ولاحد لقدرتها على الخلق " إنه الفارق بين الهدى والضلال وهذا هو الفارق بين العلوم حين يشتغل بها المؤمنون. والعلوم حين يشتغل بها الماديون.

ونسجل أنه كلما تقدم علماء الإسلام فى الطب أو الفلك أو الجبر أو الهندسة كلما ازدادوا قرباً من الله. على عكس أرباب الحضارة الأوربية. كلما تقدموا فى العلم التجريبى إذا بهم يُعرضون عن الله. ويصل بهم الأمر أن يتحدوا الخالق سبحانه فى أسماء مخترعاتهم مثل تسمية بعض المخترعات بالمتحدى. أو الذى يستغنى بنفسه عن غيره.

---

(١) انظر شمس العرب تطح على الغرب ص ٢٤٣، ٢٤٦

(٢) نفسه ص ٢٦٦ / ٢٦٨

(٣) انظر للأهمية كتاب فى تاريخ الطب فى الدولة الإسلامية ص ١٥٨ والكتاب حافل بما يعتز المسلم فى تقدم المسلمين فى علوم الطب. جزى الله مؤلفه الدكتور عامر النجار خير الجزاء على جهوده المتميزة فى هذا الشأن

إننا حين نذكر هذه النماذج نؤكد أن الإسلام هو الذى دفع هذه العقول للانطلاق للبحث والتجربة. وأنه كما يأمر أتباعه بالصلاة والزكاة وسائر فروض الإسلام يأمرهم بالبحث والنظر والتفكير والتدبر، وهذه الأمور كلها يعدها الإسلام عبادة يتقرب بها المسلم إلى الله إذا أخلص عمله لله. وقصد بتلك الأعمال تحقيق الخلافة عن الله فى الأرض. واكتشاف سننه فى كونه

لأن العلوم الدينية والعلوم التجريبية ليستا متعارضتين حيث يعتقد البعض أن الأولى خاصة بالنواحي الروحية وبالآخرة، والثانية خاصة بالنواحى المادية وبالدنيا، وهذا وإن كان صحيحاً إلى حد ما إلا أن المعرفة أو العلوم الدينية تنصب على شئون الحياة فى الإسلام بنفس القدر الذى تنصب به على شأن الآخرة كما أن العلوم التجريبية فى الإسلام عون للإنسان المسلم على عبادة ربه وابتغاء الدار الآخرة بما يحصله منها من نتائج فليس ثمة علوم دينية ، وعلوم دنيوية [١] ولكن العلم وطلبه فريضة . ليست واجبة الأداء فحسب. ولكنها فى المصطلح الإسلامى عبادة ولنتأمل قول الله تعالى ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾[٢]

فهل يستطيع المسلمون الآن تنفيذ هذه الآية بغير علم الرياضيات والفيزياء والكيمياء والميكانيكا وعشرات غيرها من العلوم.؟[٣]

ونقرأ قوله تعالى ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[٤]

فنوقن أن الله يطلب من عباده المؤمنين أن يأخذوا بالقوة المتمثلة فى الحديد ـ لنصرة الله ورسله ـ وهذا ما نتمنى من المسلمين أن يقوموا به.

---

(١) الإسلام والعلم التجريبى ص ١٠٠ وانظر للضرورة، إحياء علوم الدين للغزالى ج ١ ص ١٦
(٢) سورة الأنفال الآية ٦٠
(٣) واقعنا المعاصر ص ٩٣
(٤) سورة الحديد الآية ٢٥

تعقيب ثان

الدين الحق الذى ينقذ البشرية هو الإسلام

بعد أن استعرضنا ما آلت إليه البشرية بعد سيطرة العلم التجريبى والإحباط الشديد الذى أحاط بالناس من جرّاء بُعدهم عن الدين. والصيحات العالية التى خرجت مدوية من هنا وهناك تعلن عجز العلم عن تفسير كثير من الأمور وتبين الحاجة إلى الدين نتساءل ـ أى دين ـ يحقق للإنسان المعاصر الطمأنينة والتوازن بين النفس والجسم بين الإنسان والكون وبينه وبين بنى جنسه من البشر بل بينه وبين الكائنات من حوله؟ هل الأديان الكتابية بما آلت إليه من تحريف، وتعصب ممقوت؟ كلا . لا شيء من هذا كله يصلح لكى يكون الدين الذى يحقق للبشرية أمنها واستقرارها فى يومها وغدها ومستقبلها إن الدين المختار من خالق البشر هو الإسلام الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم . كخاتم للأنبياء والرسل، وخاتم للرسالات والشرائع. وناسخ لها فى الوقت ذاته لأنه الدين الذى يحمل فى تعاليمه المتمثلة فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة ما يصلح الإنسان إلى أن تقوم الساعة، ولذلك حتماً ستعود البشرية إلى دين محمد صلى الله عليه وسلم سواء بالدخول فيه والإيمان بأركانه أو بأخذ تعاليمه وتطبيقها فى مجتمعاتهم مصداقاً لقول الله تعالى ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[1]

وليس كلامنا خالياً من الحقائق كلا بل إن الحقائق تؤكده والحجج تدعمه والبراهين تدلل عليه. ولنا عدة حقائق نقدمها كبرهان ودليل على أن الإسلام الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو المنقذ للبشرية مما تردت إليه إن كان فيها من يأخذ بالعلم ويحتكم إلى العقل السليم ـ إما إذا أعرضوا ـ فهذا هو الاستكبار وهو الغى والضلال. هذه الحقائق تتمثل فى بعض آيات القرآن الكريم. يقول الله تعالى ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟

---

(١) سورة الصف الآية ٩

ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١)

إن العالم فى أمس الحاجة إلى تصور صحيح للألوهية ولن تجد البشرية هذا التصور إلا فى كتاب الإسلام الوحيد الباقى بلا تحريف ولا تبديل القرآن الكريم ، وأيضاً السنة الصحيحة. وقد تضمنت هذه الآية النهى عن الإشراك بالله. وجاءت آيات أخرى لتتحدث عن الوحدانية التى يطلبها الإسلام من الخلق جميعاً.

وقد تحدثت هذه الآية الجامعة عن أسس ثلاثة :

الأساس الأول : ما يتعلق بعقيدة الفرد فحرم عليه الشرك بالله وهذا أول أساس ينبنى عليه صلاح العالم وسعادة البشرية.

الأساس الثانى : ما يتصل بسلوك الأفراد من الناحية الأخلاقية سواء ما يتعلق بذوى قرابته أو المجتمع الذى يعيش فيه.

الأساس الثالث : ما يتصل بالمعاملات بين الأفراد فى الدولة الواحدة أو بين الدول بعضها والبعض الآخر. من ناحية الوفاء بالعهو د وأدائها.

سوف نتكلم عن كل أساس من تلك الأسس بكلمة موجزة :-

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٥١-١٥٢

أولاً: عقيدة التوحيد

فى وسط هذا الكم الهائل من التيه والضياع فى عالم الأفكار والمعتقدات. يظهر الإسلام كدين متفرد يدعو إلى التوحيد الخالص الذى جاء به الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم، والذى يقول سبحانه ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (١)

ويقول عز وجل ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ (٢)

ويقول سبحانه ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (٣)

هذه بعض الآيات التى يقرر فيها رب العالمين أن التوحيد هو دعوة الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم.

أما صاحب الدين الخاتم فإن دعوته من بدايتها إلى نهايتها كانت من أجل التوحيد.

يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٤)

ويقول تعالى ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٥)

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٥
(٢) سورة الزخرف الآية ٤٥
(٣) سورة النحل الآية ٣٦
(٤) سورة البقرة الآية ٢١
(٥) سورة البقرة الآية ١٦٣ ـ ١٦٤

وهذه الآية تمثل مع غيرها من الآيات مثل قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[١]

وقوله تعالى ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٢]

وقوله تعالى ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ ٱللَّهُ ﴾[٣]

أقول تمثل أسلوب الاستثناء التام المنفى وهذه الصيغة ترد كثيراً فيما يقرب من تسع وخمسين موضعاً تتحدث عن نفى كل ألوهية لغيره وتثبت الألوهية له وحده سبحانه وتعالى[٤]

أما السورة الفذة الفريدة التى تثبت لله الوحدانية وتنفى عنه الشريك وتنزهه عن الصاحبة والولد. فهى سورة الإخلاص يقول سبحانه وتعالى ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[٥]

فقد نفت هذه السورة على قلة ألفاظها الكثرة والعدد، والقلة والنقص والعلة والمعلولية، والشبيه والنظير[٦]

وسورة الإخلاص لم يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم فى فضل سورة من القرآن مثلما صح فى فضلها وعليها اعتماد الأئمة فى التوحيد[٧] إن عقيدة التوحيد التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم تحرر الإنسان من أن يكون عبداً لآلهة هو الذى صنعها، وترتفع به من أن يكون عبداً لإنسان مثله. يحلل له أو يحرم عليه. وتنأى به عن أن يكون عبداً لحيوان أو جماد لا ينفع ولا يضر. وهى فى الوقت ذاته

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٥

(٢) سورة آل عمران الآية ٦٢

(٣) انظر ما يعد به الإسلام ص ١٢٥ روجيه جارودى ـ وانظر ص ١٢٦/ ١٢٧

(٤) انظر الألوهية فى الفكر الإسلامى ص ١٢٦

(٥) سورة الإخلاص الآية ١ ـ ٤

(٦) انظر شرح البيجورى على الجوهرة ص ٦٩

(٧) توحيد الألوهية من مجموع الفتاوى ج ٢ ص ٤٣٨ ـ ٤٣٩

(أى عقيدة التوحيد) ترد الأمر كله لله فالكون بما فيه ومن فيه ملك لله خالقه. فلا يُطلب الرزق إلا منه ولا الاستعانة إلا به ولا التوكل إلا عليه.

إن التوحيد هو الحرية فى أسمى معانيها. لأنه ينشئ فى القلب والعقل والضمير حالة من الانضباط والإلتزام. لا تتأرجح معها العقيدة، ولا تهتز معها القيم ولا يتميع فيها التصور والسلوك. ندرك هذا حين نوازن بين المسلم الذى يتعامل مع ربه الواحد الخالق الرازق القادر القاهر المدبر المتصرف وبين غيره من أرباب الديانات الوضعية [١] وأتباع المذاهب الفكرية. بل وأرباب الديانات الكتابية حيث أضحت هذه الديانات لا تلبى حاجات البشرية ويكفى القارئ أن يستعرض بعض أفكار الديانات الوضعية المعاصرة مثل الهندوسية أو البوذية ليرى كيف تختذل هذه الديانات كرامة الإنسان وتجعله يقدس البقرة ويحرم ذبحها، ويقدس الثعابين والتماسيح وغيرها ويعتبرون بعض الأنهار عندهم مقدساً وأن الانغماس فيها يطهر الذنوب [٢] كما هو مقرر عند الهندوس أما البوذية فإنها يطلق عليها ديانة مجازاً لأنها تخلو من فكرة الألوهية أصلاً، وإن كان أتباع بوذا قد قدسوه فيما بعد فقد نحتوا التماثيل إعجاباً به، وتقديساً له. ثم دعاهم هذا الإعجاب له لمنحه صفات الألوهية واتخاذه إلهاً متجسداً [٣] أما الأديان الكتابية مثل اليهودية فإن تصورهم للألوهية تصور مشوش بعد التحريف والتبديل الذى أدخله الأحبار على تعاليم موسى عليه السلام. ويمتلئ العهد القديم الذى بأيدى اليهود بأوصاف لا تليق بذات الله فهو يأكل ويشرب [٤] ويعمل ويتعب ويستريح [٥]، وينسى ويندم ويتردد وينطلى عليه الخيل [٦] وأنه متردد [٧] فهل من العقل والمنطق أن يتعبد الإنسان لإله هذه صفاته؟ هذا فضلاً عن التعصب اليهودى للجنس الإسرائيلى والنظرة باحتقار وتعالى لكل ما عداه.

---

(١) انظر خصائص التصور الإسلامى ومقوماته ص ٢٢٧ / ٢٢٨

(٢) دائرة معارف القرن العشرين ج ٢ ص ١٦٣

(٣) انظر الهند القديمة ص ١٥٢ وأديان الهند الكبرى ص ١٧٦ ـ ١٨٠

(٤) سفر التكوين ١٧ / ١ ـ ٣، ٨ / ١ ـ ٢

(٥) سفر الخروج ٢٠/٨ ـ ١١ وسفر التثنية ٥ ـ ١٢ / ١٥ والتكوين ٢/ ١ ـ ٢

(٦) سفر التكوين الإصحاح ٢٧

(٧) انظر سفر التكوين الإصحاح ٨

أما النصرانية فإن التثليث من العقائد الأساسية عندهم ويستدلون عليه بنصوص من الأناجيل [١] وأعمال الرسل وقد حاول النصارى البرهنة عليه بأدلة عقلية لا مجال لعرضها [٢]

وقد رفض كثير من علماء الغرب ما آلت إليه النصرانية من تحريف وتبديل خاصة فى مجال التثليث والصلب والفداء [٣]

لكل هذه الأمور وغيرها نستطيع أن نقول بدون تجاوز للحقيقة والواقع أن التوحيد هو الخاصية البارزة فى الدين الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بحيث أنه لم يبق فى الأرض كلها تصور دينى صحيح إلا التصور الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم. حيث حفظ الله أصوله فلم تمتد إليه يد التحريف ومن ثمَّ أصبح التوحيد خاصية من خصائص هذا الدين [٤]

ولا يقولن أحدٌ إذا كانت عقيدة التوحيد الخالص هى الباقية فى الدين الإسلامى الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم دون غيره من الأديان الموجودة الآن: فما شأن الذين ينتسبون إلى الإسلام اليوم فى ذيل الأمم؟ ونبادر فنقول فرق بين المبدأ والتطبيق للمبدأ. فالمبدأ حق فى ذاته يؤتى ثماره لمن يأخذ به ويعمل بتوجيهاته، ولأن سنن الله لا تحابى أحداً. فحين انحرف المسلمون عن العقيدة الصافية واتبعوا سنن من قبلهم نزع الله منهم القيادة والريادة. ومن ثمَّ فإن الوضع الذى يعيشه المسلمون الآن دليل على أن الإسلام هو الحق وأن التمسك به هو طوق النجاة والسعادة فى الدنيا والآخرة. أما حين تخلى المسلمون عن عقيدتهم وشريعتهم فإن الهوان وتكالب الأمم عليهم هو النتيجة الحتمية واللازمة لسلوكهم. وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

---

(١) انظر إنجيل متى ٢٨ / ١٩ ويوحنا ١/١

(٢) انظر التثليث والتوحيد للأنبا غريغريوس وانظر الدر الثمين فى إيضاح الدين ص ١١/١٠

(٣) انظر على سبيل المثال المسيحية نشأتها وتطورها فالكتاب من بدايته إلى نهايته تصوير دقيق لدخول الوثنية إلى النصرانية وسيطرتها فيما بعد بدلاً من تعاليم المسيح عليه السلام والحواريون انظر بحثنا. نقض دعوى عالمية النصرانية. المبحث الخاص بدخول الوثنية إلى النصرانية

(٤) خصائص التصور الإسلامى ومقوماته ص ٢١٢ / ٢١٣

ولذلك نقرر أن أصحاب عقيدة التوحيد حين يفيئون إلى منهج الله الذى منَّ به عليهم، وينادون به يملكون أن يقدموا للبشرية الشئ الكثير. الذى تفتقده جميع المناهج والأنظمة والأوضاع فى الأرض كلها بلا استثناء ومن ثمَّ يكون لهم اليوم وغداً دور جديد فى عالم اليوم يتمثل فى القيادة الراشدة للتيارات العالمية الإنسانية ويمنحهم سبباً وجيهاً للوجود العالمى الإنسانى كالدور الذى مُنح للعرب الأميين فى الجزيرة العربية يوم أن تمسكوا بالإسلام.

إن أصحاب عقيدة التوحيد لا يملكون أن يقدموا للبشرية أمجاداً علمية ولا فتوحات حضارية تبلغ من ضخامتها أن تتفوق تفوقاً ساحقاً على كل ما لدى البشرية منها، ولكنهم يملكون أن يقدموا للبشرية شيئاً آخر أعظم من كل الأمجاد العلمية، والفتوحات الحضارية إنهم يقدمون تحرير الإنسان بمنهج يقوم على تكريم الإنسان وعلى إطلاق يده وعقله وضميره وروحه من كل عبودية لما سوى الله ويوم أن يفعل ذلك أصحاب عقيدة التوحيد سوف تنطلق كل الطاقات لتحقيق الخلافة عن الله فى أرضه بعزة وكرامة كما أراد الخالق للإنسان أن يكون. وحين يتم ذلك من الممكن حينئذ أن يقدم الإنسان المحرر من العبودية لغير الله. الأمجاد العلمية، والفتوحات الحضارية. ليستخدمها فى طاعة الله ويسخرها فى عبادته. فلا يكون عبداً للآلة ولا عبداً للبشر على السواء[1] إن على البشرية اليوم كما تجد للحصول على الطعام والشراب وضرورات الحياة وكمالياتها. أن تجد للبحث عن الدين الحق الذى يقدم التصور الصحيح عن الله ورسله وعالم الغيب كله. الدين الذى يقدم المنهج الصالح للحياة بحيث تتوازن متطلبات الروح مع ضرورات الجسد الدين الوسط الذى لا يهمل جانباً على حساب جانب آخر بل الكل يأخذ حقه بحساب دقيق وميزان عادل ولن تجد البشرية ذلك إلا فى الإسلام الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.

---

(١) خصائص التصور الإسلامى ومقوماته ص ٢٣٤

ثانياً: الجانب الأخلاقى:

هذا الجانب يأتى بعد التوحيد مباشرة وهو منبثق؛ عنه لأن الذى يوحد الله ويعرفه حق المعرفة تظهر آثار الوحدانية على سلوكه مع ذوى قرابته وبين سائر أفراد المجتمع الذى يعيش فيه .

لقد أوصى الله الإنسان بالإحسان إلى الوالدين. والناظر فيما وصل إليه حال المجتمع المعاصر. من ناحية الجفاء والعقوق الذى أصبح سمة للإنسان المعاصر . يجد أن الإسلام يأتى ليعيد التوازن إلى البشرية برده إلى الإحسان لمن كان سبباً فى وجوده. إن الذى يشاهد الآباء والأمهات الذين يعيشون بلا عائل ولا موئل مما يثير الأسى. يدرك نداء القرآن ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ كتعليم أخلاقى رفيع فى وسط هذا الكم الهائل من الماديات ـ إنه يقول للإنسان إن عليك واجبات وتكاليف تجاه الوالدين ـ وكلمة الإحسان كلمة ندية رطبة تبدد جفاء الحضارة المعاصرة. وهى تعنى إعطاء أكثر فى مقابل أقل. أو فى غير مقابل أصلاً، وهو تعبير عن إنسانية الإنسان [١] كما ينبغى أن يكون الإنسان.

وتضمنت آية سورة الأنعام النهى عن قتل الأولاد. أياً كان السبب أما التعليل بخشية الفقر فقد صرح به القرآن لأنه كان العلة الشائعة لدى العرب وقت مجئ الإسلام وليس لأن النهى مرتبط به وحده وإلا فتجنب قتل الأولاد مطلوب على الإطلاق بعموم قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [٢]

وهذه الآيات كما خاطبت القدامى تخاطب المعاصرين الآن ـ الذين يعملون على إبادة الجنس البشرى بتحديد النسل خشية الفقر أو حرصاً على عدم تحمل المسئولية تجاه الأسرة ـ وحجتهم الاستمتاع بالحياة وهذا شائع الآن فى الغرب. وقد تسربت بعض هذه الأفكار للأسف الشديد إلى المجتمع الإسلامى.

---

(١) الفكر الإسلامى فى المجتمع المعاصر ص ٤١٦

(٢) سورة الأنعام الآية ١٥١ وانظر الفكر الإسلامى الحديث ص ٢٥٤ / ٢٥٥

ثم تأتى التوجيهات القرآنية بتجنب اقتراف الفواحش ظاهرها وباطنها خفيها وظاهرها. إن العالم الآن يئن من الفواحش وهى نذير بطش وفتك عن طريق الأمراض التى تخلفها تلك الفواحش فضلاً عن عقاب الله. وللأسف الشديد تظهر العلل وتنتشر الأمراض وبدلاً من النهى عن اقتراف الفواحش نرى سدنة النظام العالمى الجديد يوصون رعاياهم بأخذ الاحتياطات اللازمة. يأتى نداء القرآن الكريم للبشرية كطوق للنجاة من الغرق المحتم. ولكن هل من مجيب ؟ وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴾ (١)

ثم تضيف الآية النهى عن قتل النفس بغير حق. والنهى هنا لا يتناول الأفراد فحسب بل يتناول الدول والمجتمعات. ويأتى التأكيد بعد النهى عن القتل ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٢)

من الذى يحقق السلام والأمن للأفراد والمجتمعات سوى الإسلام كلمة الله الأخيرة لمحمد صلى الله عليه وسلم لدعوة الناس كافة.

ماذا فعل العالم المتحضر الذى تسوده الديانات الكتابية أو الديانات الوضعية مع المجاذر البشرية، ومع التفجيرات النووية ومع التجويع حتى الموت؟ إن عالم اليوم يملك ما يوازى مليون قنبلة من مثل قنبلة هيروشيما(أى ما يعادل خمسة أطنان من المتفجرات التقليدية على رأس كل مواطن. على هذا الكوكب (٣) يأتى النداء القرآنى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا أَوْلَٰدَكُمْ مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ ليبدد ذلك الخطر الداهم الذى يهدد البشرية من جانب ثلة لا عقل لها ولا دين ولا قلب. وإن كانت تلك الآلات موجودة فى أجسادهم إلا أنهم عطلوها عن العمل من أجل أمجاد زائفة. وهذا شأن الغرب المعاصر ـ صاحب التكنولوجيا والأقمار الصناعية.

---

(١) سورة القمر الآية ٣٦
(٢) سورة الأنعام الآية ١٥١
(٣) ما بعد به الإسلام روجيه جارودى ١١٥

ثالثاً: ما يتعلق بالمعاملات بين الأفراد والأمم.

إن آية سورة الأنعام وغيرها من الآيات تأمر بعدم مساس مال اليتيم وهو ذلك الضعيف فى صورة من صور الضعف الإنسانى. إنه ذلك اليتيم المنتشر فى أرجاء العالم. يتسول وتستغله عصابات الإجرام ويُتاجر بأعضائه البشرية لصالح الأقوياء. لا أحد يأخذ له شقه سوى الإسلام.

وتأمر الآية أيضاً. بالوفاء فى الكيل والميزان: أى بتحقيق التعادل فى التبادل بين الناس. إنها تبدد الظلم والجور والاستغلال الذى يمارس من الدول الغنية المصدرة للدول الفقيرة المستوردة. الذى يفضى إلى أبشع صور الظلم انتشاراً ـ حين تسلب الموارد لصالح مجموعة قليلة من البشر ـ ضد الغالبية العظمى من العالم [1]

أما قوله تعالى (وإذا قلتم فاعدلوا) يا لهذا القرآن من شفاء للناس. إن الآية تأمر بالقضاء بالعدل والتمسك به مهما كانت عوامل الضغط على الانصراف عنه ولك أيها القارئ أن ترى نموذج الحيف والجور والظلم والعدوان ظاهراً للعيان فى أى مشكلة يكون الطرف فيها المسلمون، وما قضية " فلسطين " أو البوسنة " أو " كسوفا " أو " كشمير " أو الشيشان عنا ببعيد فى الكيل بعدة مكاييل فى الأمر الواحد ـ وها هى قرارات الأمم المتحدة تطبق على البعض بكل صرامة وتشدد ـ وتغفل تماماً وكأنها لم تكن عند البعض الآخر.

والمثال على ذلك إسرائيل وغيرها من دول العالم الإسلامى.

يأتى القرآن للعالم كله أمراً ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾[2] أياً كانت القرابة والمصلحة ومهما ترتبت عليها . أين نجد هذه التعاليم وعند من تطبق؟ إنها لا توجد إلا فى الإسلام ولا تطبق إلا عند المتمسكين به.

ثم يأتى الأمر بالوفاء بالعهد والالتزام به. بشرط أن يكون ذلك العهد على الخير وبالمعروف أما إذا كان على الشر أو المنكر. فهو وعد مهدر وعهد باطل.

---

(١) انظر ما يعد به الإسلام ص ١١٣ / ١١٤

(٢) سورة الأنعام الآية ١٥٢

يقول أستاذنا الدكتور البهى فى تعليقه على آية سورة الأنعام: فهذه الآية وحدها لم تقف بالإسلام عند حد الدين كما يراه الغربيون وهو الذى يعنى العقيدة فى الإله. ولم تقف عند حد الوصايا الأخلاقية الفردية فقط بل تجاوزت هذين الجانبين إلى جانب التعامل فى دائرة الأموال. والتبادل التجارى، وفى دائرة القضاء، وفى دائرة الوفاء بالعهد والالتزام به. والآية فوق أنها تحدد العقيدة والوصايا الخلقية الفردية تقرر مبدأ التعامل ومبدأ القضاء، ومبدأ الدولة نفسها وصلتها بالأفراد.(١)

وماذا يحتاج العالم الآن أكثر من هذا؟ إن البشرية لا مناص سوف تعود إلى الدين الذى يحقق السعادة والطمأنينة لها ليس فى الدنيا فقط وإنما يحقق الأهم وهو الأمن فى الحياة الآتية.

إنه وكما يقول الدكتور " رشدى فكار " إن الإسلام لن يقول لأبناء القرن الحادى والعشرين سأعطيكم طائرة أسرع أو سيارة أفضل أو قطاراً أكثر راحة ورفاهية أو ثلاجة أجمل وأكبر أو طرقاً أنعم وأنظف لا ولكن سيقول لهم: سأعطيكم إنساناً أكثر توازناً واعتدالاً أكثر براً وإحساناً وعدالة للآخرين إنساناً يرتبط بمبادئه ويهاب ويخشى خالقه. الإنسان الذى يخدم الإنسان ويعمل لإسعاده لا لارتقاء ناطحات السحاب ورصف الشوارع، واستنزاف كل الخيرات فى إطار التحايل والمكر والدهاء والكيد وبمعنى آخر صياغة وبناء الإنسان ليبنى كل ما دمر "(٢) نعم إن هذا أعظم ما يقدمه الإسلام للبشرية بعد أن وصلت إلى ما وصلت إليه الحضارة المادية المعاصرة، وفضلاً عن ذلك كله يقدم الإسلام الحضارة فى ثوب جديد يخترع فيه الإنسان ويبتكر ويستخرج الخيرات. وهو مع ذلك عبد لله لايتعالى ولا يغتر وهذا فرق كبير وبون شاسع بين الحضارة حين يملكها غير المؤمن والحضارة حين يملكها المؤمن.

إن البشرية فى أمس الحاجة إلى الإسلام فى هذه الفترة الحرجة من تاريخ الإنسان. الضمير فى حاجة إلى الاسترواح والثقة والاطمئنان، والعقل الإنسانى يحتاج إلى الانطلاق والنشاط للنفع لا للضرر للإصلاح لا للإفساد.

---

(١) انظر الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص ٢٥٥ / ٢٥٦

(٢) حوار متواصل ص ٥٤ د / رشدى فكار نقلاً عن الصحوة الإسلامية فى عيون مختلفة ص ٨٩/ ٩٠ د / نعمان السامرائى الناشر دار المنارة.

والأسرة فى حاجة إلى الحماية والرعاية ولم الشمل والتكافل.

والبشرية بأسرها فى حاجة إلى التعاون لا التفرق والتعارف لا التشاجر، والسلام لا الحرب.

إن شجرة الحضارة البشرية تهتز وتترنح اليوم كما كانت تهتز وتترنح قبيل مولد محمد صلى الله عليه وسلم. الرسول الذى وحد العالم جميعه فما أشد حاجة البشرية إلى رسالة هذا الرجل لتنقذها مرة أخرى [1] إن ذلك واقع لا محالة وآت لا ريب فيه ويومها يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم.

---

(١) نحو مجتمع إسلامى ص ١٢/١٣

obeikandl.com

أهم المصادر والمراجع

١ـ القرآن الكريم

البيجورى

إبراهيم البيجورى

٢ـ " تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد " الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية.

أحمد امين.

٣ـ " فجر الإسلام " . مكتبة النهضة. الطبعة الحادية عشرة.

أرنولد، السير توماس.

٤ـ " تاريخ الدعوة إلى الإسلام " مكتبة النهضة المصرية.

الأشقر،

د / عمر سليمان الأشقر.

٥ـ " العقيدة فى الله " . دار النفائس.

الألوسى،

محمد شكرى الألوسى.

٦ـ " روح المعانى " . دار الطباعة المنيرية.

بدوى،

د/ عبد الرحمن بدوى.

٧ـ " موسوعة الفلسفة " . المؤسسة العربية للطباعة والنشر.

د/ بركات دويدار.

٨ ـ " الوحدانية " . مكتبة النهضة المصرية.

البستانى،

المعلم بطرس البستانى.

obeikandi.com

٩ـ " محيط المحيط". مكتبة لبنان ١٩٧٣م.
١٠ـ " مختصر تفسير البغوى " للدكتور عبد الله الزيد. مكتبة المعارف للنشر.

أبو البقاء،

أيوب بن موسى والكفوى.

١١ـ " الكليات " نشر وزارة الثقافة. دمشق ١٩٧٥م.

البهى،

د/ محمد البهى.

١٢ـ الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى". مكتبة وهبة.
١٣ـ الفكر الإسلامى والمجتمع المعاصر".

البيرونى.

١٤ـ " تحقيق ما للهند من مقولة". عالم الكتب ١٩٨٣م.

بيصار،

الدكتور محمد بيصار.

١٥ـ " العقيدة والأخلاق ". مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٣م

البضاوى.

١٦ـ " تفسير البيضاوى".

التفتازانى،

سعد الدين بن عمر التفتازانى.

١٧ـ " مقاصد الطالبين فى علم أصول الدين " . دار الطباعة العامرة.

التهانوى،

محمد على الفاروقى التهانوى.

١٨ـ " كشاف اصطلاحات الفنون " تحقيق الدكتور لطفى عبد البديع.

ابن تيمية.

١٩ـ " الإيمان ضمن مجموع الفتاوى ". الناشر دار الفكر

جارودى،

روجيه جارودى.

٢٠ـ " ما يعد به الإسلام " ترجمة قصى أتاسى. مراجعة محمد البجاوى.

obeikandl.com

محمد كمال جعفر.

٢١- " فى الدين المقارن ". دار الكتب الجامعية.

د/ جواد على

٢٢- المفصل فى تاريخ العرب". دار العلم للملايين.

جورج هدلى.

٢٣- " الدين .. مادة ورمزاً ". ضمن آفاق المعرفة. ترجمة فؤاد جميل.

مؤسسة فرانكلين للطباعة.

ابن حزم.

٢٤- " الفصل فى الملل والأهواء والنحل ". مكتبة السلام العالمية. القاهرة

خان،

وحيد الدين خان.

٢٥- " الإسلام يتحدى ". دار المختار الإسلامى.

الخطيب،

الأستاذ / عبد الكريم الخطيب.

٢٦- " الله . ذاتاً وموضوعاً " . دار الفكر العربى.

٢٧- دائرة المعارف الإسلامية لمجموعة من المستشرقين. ترجمة أحمد الشناوى وآخرون. الناشر دار الفكر العربى.

أبو داود.

٢٨- " سنن أبى داود " شرح الحافظ بن قيم الجوزية. الناشر المكتبة السلفية.

دراز،

الدكتور/ محمد عبد الله دراز

٢٩- " الدين " دار القلم. الكويت.

الرازى،

الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى

٣٠- التفسير الكبير ".

رشيد رضا.

٣١- " تفسير المنار ". دار المعرفة للطباعة و النشر.

الزمخشرى،

أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى.

٣٢- " الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل". طبعة الحلبى ١٩٧١م.

الزندانى،

الشيخ / عبد المجيد الزندانى.

٣٣- " توحيد الخالق".

السامرائى،

د/ نعمان السامرائى.

٣٤- " الصحوة الإسلامية فى عيون مختلفة ". الناشر دار جدة ١٩٩٣م.

السحيبانى،

الشيخ / محمد بن ناصر السحيبانى.

٣٥- " منهج الشهر ستانى فى كتابه الملل والنحل ". دار الوطن. الرياض.

أبو السعود

٣٦- "تفسير أبو السعود".

سيد قطب .

٣٧- فى ظلال القرآن. دار الشروق.

٣٨- " فى النفس والمجتمع " دار الشروق.

٣٩- " خصائص التصور الإسلامى ومقوماته ". دار الشروق .

الشاذلى،

الدكتور / عبد الله يوسف الشاذلى.

٤٠- " الحكمة العربية فى أصالتها الفطرية ". الدار القومية.

٤٠- المنهاج القرآنى". الدار القومية.

٤١- " الألوهية فى الفكر الإسلامى ". الدار القومية

obeikandl.com

الأستاذ / محمود شاكر.

٤٣- " أباطيل وأسمار " مطبعة المدنى. الطبعة الثانية.

ابن الشريف ،

الدكتور/ محمود بن الشريف.

٤٤- " الأديان فى القرآن " دار المعارف الطبعة الثالثة ١٩٦٣م.

الشهر ستانى.

" الملل والنحل " دار الفكر . بيروت.

" نهاية الأقدام".

صبحى ،

د/ نبيل صبحى.

٤٥- " الحرمان والتخلف فى ديار المسلمين ". كتاب الأمة ١٤٠٤هـ

الصنعانى.

٤٦- " سبل السلام " نشر جامعة الإمام ١٩٨٤م.

الطبرى ،

أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى.

٤٧- " تفسير الطبرى" تحقيق أحمد ومحمود شاكر. دار المعارف.

د/ عامر النجار.

٤٨- " فى تاريخ الطب فى الدولة الإسلامية". دار المعارف. الطبعة الثالثة ١٩٩٤م

الإمام الأكبر الدكتور / عبد الحليم محمود.

٤٩- " الإسلام والإيمان ".دار الكتب الحديثة.

عبد الرازق ،

الإمام الأكبر الشيخ / مصطفى عبد الرازق.

٥٠- " الدين والوحى والإسلام " دار القادرى لبنان.

الدكتور / عوض الله حجازى.

٥١- " مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام". دار الطباعة المحمدية.

obeikandl.com

الأستاذ / حمدى عبيد.

٥٢ـ" معجم المصطلحات ". ملحق بالموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب.

نشر الندوة العالمية للشباب الإسلامى. الرياض ١٩٩٨م

ابن أبى العز.

٥٣ ؟ـ " شرح الطحاوية " تحقيق د/ عبد الله التركى، شعيب الأرناؤوط . مؤسسة الرسالة.

العسقلانى،

الإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلانى.

٥٤ ـ " فتح البارى شرح صحيح البخارى" دار الريان للتراث.

العسكرى،

أبو هلال العسكرى.

٥٥ ـ " الفروق فى اللغة ". دار الآفاق. بيروت ١٩٧٣م

ابن عطية.

٥٦ ـ " المحرّر الوجيز فى تفسير كتاب العزيز " تحقيق أحمد صادق الملاح.

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٤م.

العقاد،

الأستاذ / عباس محمود العقاد.

٧٥ـ " الله ..كتاب فى نشأة العقيدة الدينية " دار العلم للملايين.

د/ علم الدين كمال.

٥٨ ـ " تطور الكائنات الحية " مجلة عالم الفكر . المجلد الثالث. العدد الرابع ١٩٧٣ م. الكويت.

عمارة،

الدكتور / محمد عمارة.

٥٩ ـ " الإسلام والسياسة " نشر مجمع البحوث الإسلامية.

د/ عمارة نجيب.

٦٠ ـ " الإنسان فى ظل الأديان ". مكتبة المعارف . الرياض.

obeikandl.com

الغزالى،

الإمام أبى حامد الغزالى.

٦١ ـ " الاقتصاد فى الاعتقاد ". مكتبة الجندى.

القاسمى،

محمد جمال الدين القاسمى

٦٢ ـ " محاسن التأويل " دار الفكر.

القرطبى،

الإمام شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن بكر فرح الإنصارى.

٦٣ ـ " تفسير الجامع لأحكام القرآن".

قطب،

محمد قطب.

٦٤ ـ " مذاهب فكرية معاصرة " . دار الشروق.

٦٥ ـ " معركة التقاليد ". دار الشروق.

٦٦ ـ " التطور والثبات ". دار الشروق

٦٧ ـ " دراسات فى النفس الإنسانية " دار الشروق.

٦٨ ـ " واقعنا المعاصر ". دار الشروق.

ابن فارس.

٦٩ ـ " معجم مقاييس اللغة "، تحقيق عبد السلام هارون.

د/ فاروق الدسوقى.

٧٠ ـ " الإسلام والعلم التجريبى ". المكتب الإسلامى . بيروت.

د/ فرج الله عبد البارى.

٧١ ـ " اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام ". دار الوفاء . الطبعة الثانية.

الفيروز أبادى.

٧٢ ـ " القاموس المحيط " المطبعة الميمنية بمصر.

ابن كثير،

الحافظ بن كثير الدمشقى.

٧٣ ـ " تفسير القرآن العظيم ".

obeikandl.com

المراغى،

الشيخ مصطفى المراغى.

٧٤ ـ " تفسير المراغى ".طبعة مصطفى البابى الحلبى ١٩٦٩م.

المصرى،

الأستاذ عبد الرؤوف المصرى.

٧٥ ـ " معجم القرآن " مطبعة حجازى ١٩٤٨م.

د / مصطفى حلمى.

٧٦ ـ " الإسلام والأديان ". الطبعة الأولى ١٩٩٠ م. دار الدعوة . الأسكندرية .

مظهر،

سليمان مظهر.

٧٧ ـ " قصة الديانات".

ملص،

محمد بسام الملص.

٧٨ ـ " النهضة الأوربية " . دراسة نقدية نشر جامعة الإمام ١٩٩٢م

ابن منظور،

جمال الدين بن منظور.

٧٩ ـ " لسان العرب " . دار المعارف.

المنوفى،

الأستاذ / محمود أبو الفيض المنوفى.

٨٠ ـ " الدين والفلسفة والعلم " . دار الكتب الحديثة

النشار،

الدكتور / على سامى النشار.

٨٠ ـ " نشأة الدين " دار نشر الثقافة بالإسكندرية ١٩٤٩م.

النووى.

٨٢ ـ " مسلم بشرح النووى ". المطبعة العربية ومكتبتها القاهرة

د/ محمد خليل هراس.

٨٣ ـ " دعوة التوحيد " . نشر دار الصحابة . طنطا.

obeikandi.com

ابن هشام،

أبى محمد عبد الملك بن هشام.

٨٤ ـ " السيرة النبوية " تحقيق الدكتور / محمد فهمى السرجانى. المكتبة التوفيقية

٨٥ ـ " المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى".

الدكتور يحيى هاشم حسن فرغل

٨٦ ـ " الإسلام والاتجاهات العلمية ". دار المعارف.

٨٧ ـ " مداخل للعقيدة الإسلامية ". مطبعة التقدم . طنطا ١٩٨٥م.

٨٨ ـ " فى مواجهة الإلحاد المعاصر ". الناشر مجمع البحوث الإسلامية.

الأستاذ / يوسف كرم.

٨٩ ـ " تاريخ الفلسفة الحديثة. دار المعارف.

هناك بعض المصادر والدوريات اكتفينا بإيرادها فى الهامش.

oberkandl.com

تعريف بالمؤلف

أ.د / فرج الله عبد البارى أبو عطا الله.

- ولد فى دقادوس ـ ميت غمر ـ دقهلية فى ١٣/٥/١٩٥٩ م.
- تلقى تعليمه فى الأزهر الشريف منذ السنة الأولى الابتدائية حتى حصل على الليسانس فى أصول الدين والدعوة الإسلامية عام ١٩٨١م بمرتبة الشرف.
- عين معيدًا فى قسم الماجستير فى العقيدة والفلسفة بتقدير ممتاز عام ١٩٨٧م فى موضوع اليوم اللآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام.
- صدر قرار تعيينه مدرسا مساعدا فى قسم العقيدة والفلسفة عام ١٩٨٧.
- حصل على العالمية الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى عام ١٩٩٠م فى موضوع موقف القرآن الكريم من الفكر المادى.
- صدر قرار تعيينه مدرسا بقسم العقيدة والفلسفة فى ٣/١٠/١٩٩٠ م،
- رُقى إلى درجة استاذ مساعد فى قسم العقيدة والفلسفة فى ٤/١/١٩٩٥ م.
- أُعير إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بكلية أصول الدين بالرياض قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة اعتبارًا من ٢٦/١٠/١٩٩٣ م إلى ٢١/٨/١٩٩٩ م.
- اختير فى فترة إعارة ضمن أحد عشرة أساتذة حققوا سبق الإنجاز والجدية فى الإرشاد الطلابى والبحث العلمى فى كلية أصول الدين بالرياض.
- رُقى إلى رئيس قسم العقيدة والفلسفة فى ٢٠٠٤ .

سافر إلى كل من تركيا وسوريا لزيارة دور الكتب فيها وتصوير بعض المخطوطات، وزيارة كلية بمرمرة باستانبول . وزار المراكز الإسلامية فى أوربا وأمريكا.

- يقوم بخطبة الجمعة فى مساجد الأوقاف والجمعيات الأهلية منذ سنة ١٩٧٩م.

obeikandl.com

المؤلفات العلمية:

١ـ اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام طبعة ثانية دار الوفاء.
٢ ـ موقف القرآن الكريم من الفكر المادى ـ رسالة دكتوراه (مخطوطة).
٣ ـ النزعة الإلحادية فى النظريات العلمية ـ بحث نُشر فى حولية أصول الدين عام ١٩٩١ م.
٤ ـ الاختراق اليهودى للمجمعات الإسلامية نشأته وتطوره طبعة ثانية عام ٢٠٠٠ م.
٥ ـ التصور اليهودى للمسيح وعلاقته بالتقارب المسيحى اليهودى المعاصر طبعة ثانية عام ٢٠٠١ م.
٦ ـ نقض دعوى عالمية النصرانية مترجم الى الإنجليزية عام ٢٠٠١ م.
٧ ـ عالم الملائكة ـ دراسة عقدية كتاب. عام ١٩٩٨ م.
٨ ـ العلمانية النسبة الدلالة ـ الدوافع . بحث عام ١٩٩٩ م حولية أصول الدين.
٩ ـ العقيدة الدينية ونشأتها بين التوحيد والتطور ـ كتاب عام ٢٠٠٠ م.
١٠ ـ العقائد الدينية عند الأمم الوثنية كتاب ـ عام ٢٠٠٠ م.
١١ ـ الديمقراطية رؤية إسلامية بحث ـ مقدم إلى الندوة العلمية للشباب الإسلامي فى عمان ـ الأردن عام ١٩٩٨ م.
١٢ ـ بحث عن المادية منشور فى موسوعة المذاهب المعاصرة دار إشبيلية الرياض عام ١٩٩٧ م.
١٣ ـ الاستنساخ ـ بحث مقدم لإلى اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة بجامعة الأزهر عام ٢٠٠٠ م.
١٤ ـ اليهودية بين الوحى الإلهي والانحراف البشرى دار الآفاق العربية عام ٢٠٠٤ م.
١٥ ـ العقيدة الإسلامية فى مواجهة التيارات الإلحادية ـ دار الآفاق العربية عام ٢٠٠٤ م.
١٦ ـ مناهج البحث العلمى وآداب الحوار والمناظرة ـ دار الآفاق العربية عام ٢٠٠٤ م.

obeikandi.com